ديوان
الشنفرى
ويليه ديوانا
السليك بن السلكة وعمرو بن براق
إعداد وتقديم
طلال حرب
دار صادر
بيروت

ديوان

الشنفرى

ديوان
الشنفرى

ويليه ديوانا

السليك بن السلكة وعمرو بن براق

إعداد وتقديم

طلال حرب

دار صادر
بيروت

تمهيد

عرف العصر الجاهلي ظاهرة خاصة، هي ظاهرة التصعلك، قام بها أفراد احتقرهم المجتمع القبلي، فعاشوا على هامشه، لكنهم استطاعوا بفضل المسار الذي خطّوه لأنفسهم أن يضفوا على تسميتهم السلبية، الصعاليك، أبعاداً جديدة، ويرتفعوا بها بحيث صارت اسم علم يدل على حركة نعِمَتْ باهتمام الباحثين المعاصرين اهتماماً يفوق اللا اهتمام الذي عُومِلَ به هؤلاء الصعاليك إبان حياتهم. فخصّهم بعض الدارسين بدراسة مستقلة[1]. ورأى آخرون أنهم دعاة اشتراكية ما[2]، فيما ذهب باحثون آخرون إلى أنهم ثائرون متمردون[3]، فما هي حقيقة هؤلاء الصعاليك؟

الصعلوك لغة هو الفقير الذي لا ماله له ولا اعتماد. وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك، قال حاتم طيء:

غَنِينَا زَمَاناً بِالتَّصَعْلُكِ وَالْغِنَى ... فَكُلاًّ سَقَانَاهُ بِكَأْسَيْهِمَا الدَّهْرُ

فَمَا زَادَنَا بَغْياً عَلَى ذِي قَرَابَةٍ ... غِنَانَا وَلاَ أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ

ويقال: تصعلكت الإبل إذا خرجت أوبارها وانجردت فطرحتها.

---

(١) انظر مثلاً دراسة يوسف خليف: الشعراء الصعاليك. دار المعارف بمصر. القاهرة ١٩٥٩ م .

(٢) راجع الحياة العربية من الشعر الجاهلي. د. أحمد محمد الحوفي. دار نهضة مصر، ١٩٧٢. طبعة خامسة. ص ٣٠٤.

(٣) انظر موسوعة الشعر العربي: الشعر الجاهلي. مطاع صفدي وإيليا حاوي. مكتبة خياط. بيروت ١٩٧٤، ١: ٥١ وما بعدها.

وصعاليك العرب: ذؤبانها[١].

فالصعلكة الفقر، وهذا المعنى هو الذي رمى إليه الأعشى حين قال[٢]:

عَلى كُلِّ أَحْوَالِ الْفَتَى قَدْ شَرِبْتُهَا غَنِيّاً وَصُعْلُوكاً وَمَا إنْ أَقَاتُهَا

وروي أن النبي ﷺ «كان يستفتح بصعاليك المهاجرين، قال أبو عبيدة: معناه يستنصر؛ والصعلوك: الفقير في كلام العرب»[٣].

إذن الصعلكة الفقر، في الأصل، والصعلوك الفقير، لكن الصعاليك لم يكونوا مجموعة من الفقراء البائسين، بل كانوا خليطاً كبيراً من فئات متنوعة، إذ فيهم الفقير العاجز المسكين الذي يعيش على هامش الحياة ينتظر الإحسان ويساعد نساء الحي لقاء هبات حقيرة، وقد وصفه عروة بن الورد فقال[٤]:

أ ـ لَحَى اللَّهُ صُعْلُوكاً إذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمُشَاشِ آلفاً كُلَّ مَجْزَرِ

ب ـ يَعُدُّ الْغِنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرِ

ج ـ يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ قَاعِداً يَحُثُّ الْحَصَا عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرِ

د ـ يُعِينُ نِسَاءَ الحَيِّ مَا يَسْتَعِنَّهُ فَيُضْحِي طَلِيحاً كَالْبَعِيرِ الْمُحَسَّرِ

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٠: ٤٥٥ ـ ٤٥٦ مادة صعلك.

(٢) انظر ديوان الأعشى الكبير. شرح الدكتور محمد محمد حسين. المكتب الشرقي للنشر. بيروت. ص ١٢١. وقوله: ما إن أقأتها: ليس عندي قدر من القوت.

(٣) راجع الأمالي لأبي علي القالي. دار الآفاق الجديدة. بيروت، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م، ٢: ٢٨٢.

(٤) انظر العصر الجاهلي لشوقي ضيف. دار المعارف بمصر. الطبعة الخامسة ص ٣٨٦.

(أ) لحى: قبح ولعن. المشاش: رؤوس العظام اللينة. المجزر: موضع الجزر.

(ب) قراها: طعامها. ميسر: الذي كثرت إبله.

(ج) يحث: يحرك. المتعفر: الممرغ في التراب.

(د) الطليح: المعيي، والمهزول. المحسر: المتعب، والواقع في الحسرة.

وإلى جانبه نجد الفقير الشرس الذي يمتشق خنجره، ويسل سيفه، وينطلق ساعياً إلى رزقه عنوة. ويصفه عروة بن الورد أيضاً فيقول[1]:

أ ـ وَلَكِنَّ صُعْلُوكاً صَفِيحَةُ وَجْهِهِ ... كَضَوْءِ شِهَابِ القَابِسِ المُتَنَوِّرِ

ب ـ مُطِلاًّ عَلَى أَعدائِهِ يَزْجرُونَهُ ... بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ

ج ـ إِذَا بَعُدُوا لاَ يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ ... تَشَوُّفَ أَهْلِ الغَائِبِ المُتَنَظَّرِ

فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَهَا ... حَمِيداً وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْماً فَأَجْدَرِ

وفيهم النبيل الذي يبيت جائعاً ولا يرضى أن تمس كرامته، إذ يقول[2] أبو خراش الهذلي مصوراً ترفعه وشعوره بالكرامة:

هـ ـ وَإِنِّي لأُثْوِي الجُوعَ حَتَّى يَمَلَّنِي ... فَيَذْهَبَ لَمْ يَدْنَسْ ثِيَابِي ولا جِرْمِي

و ـ وَأَغْتَبِقُ المَاءَ القَرَاحَ فَأَنْتَهِي ... إِذَا الزَّادُ أَمْسَى لِلْمُزَلَّجِ ذَا طَعْمِ

ز ـ أَرُدُّ شُجَاعَ البَطْنِ قَدْ تَعْلَمِينَهُ ... وَأُوثِرُ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكِ بِالطُّعْمِ

ح ـ مَخَافَةَ أَنْ أَحْيَا بِرَغْمٍ وَذِلَّةٍ ... وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى رَغْمِ

---

(١) انظر ديوان عروة بن الورد. دار بيروت، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م. ص ٣٧.

(أ) صفيحة وجهه: بشرته. الشهاب: شعلة ساطعة من النار. القابس الذي يقبس النار أو يأخذها. المتنور: المضيء.

(ب) مطلاً: مشرفاً. يزجرونه: يصيحون به كما يزجر القدح إذا ضرب. المنيح: قدح سريع الخروج لا نصيب له. المشهر: المشهور.

(ج) تشوف: تطلع. المتنظر: المنتظر قدومه.

(٢) انظر ديوان الهذليين. الدار القومية للطباعة. القاهرة ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥ م، ٢: ١٢٧ ـ ١٢٨.

(هـ) أثوي: أطيل حبسه. جرمي: جسمي.

(و) أغتبق: أشرب عشاء. القراح: الصافي. المزلج: البخيل.

(ز) شجاع البطن: شدة الجوع.

والفارس الذي لا يهاجم إلا الغني البخيل. فقد ثار بعض الصعاليك «على النظام المالي، فغنموا عنوة ما قد حرموه، واستراحوا إلى أنهم يثأرون من الأغنياء الأشحاء في مجتمع لا تحميه شرطة، ولا يخضع لقانون ولا يلجأ إلى محاكم»[1]. فهاجموا هؤلاء الأغنياء الأشحاء مطالبين برزق يسد جوعهم، وهم يشعرون أنهم أصحاب حق، حق في أن يحصّلوا رزقهم من هؤلاء البخلاء الذين يمسكون المال والطعام رغم توافره عندهم، مع العلم أنهم لو قدّموا القليل من الكثير الذي يملكون لما خسروا شيئاً. «لأنها زائدة عليهم، وهم في حاجة إليها، وبذلك يضمنون لأنفسهم ولإخوانهم الجياع الصعاليك أسباب الحياة»[2]، وقد أنشد أحد الصعاليك مصوراً هجومه على الغني البخيل فقال[3].

ـ وَعَيَّابَةٍ لِلْجُودِ لَمْ يَدْرِ أَنَّنِي   بِإنْهَابِ مَالِ البَاخِلِينَ مُوَكَّلُ

ـ غَدَوْتُ عَلَى مَا احْتَازَهُ فَحَوَيْتُهُ   وَغَادَرْتُهُ ذَا حَيْرَةٍ يَتَمَلْمَلُ

وفيهم الشهم الذي يشفق على رفاقه الصعاليك الضعاف فيغزو ويعطيهم كعروة بن الورد الذي قال فيه عبد الملك بن مروان: من زعم أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد[4]. وفيهم النذل اللئيم الذي لا يتطلع إلا إلى مصلحته فلا يرعى ذمة رفيق أو صديق فقد قيل إن الأخينس الجهني[5] لقي الحصين العمري[6]، وكانا فاتكين، «فسارا حتى لقيا رجلاً من كندة في تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك، فطمعا به، فاغتره الحصين فضرب بطنه بالسيف فقتله، واقتسما ماله، ثم ركبا،

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلي. أحمد محمد الحوفي ص ٣٠٠.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. جواد علي ٩: ٦٠٤.

(٣) الحياة العربية من الشعر الجاهلي. أحمد محمد الحوفي ص ٣٠٦.

(٤) الأغاني ٦: ١٩١.

(٥) هو الأخينس بن كعب، من قبيلة جهينة. وقيل الأخنس (انظر مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣).

(٦) هو الحصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب. وقيل هو الحصين بن سبيع الغطفاني.

وطمع الأخينس في مال الحصين فتربَّص به الفرص حتى أخذه على غرة فقتله واستولى على ما كان عنده»[1] غير مهتم إلا بالكسب.

وليس هذا الصعلوك بأقل نذالة من أولئك الصعاليك الذين أحسن إليهم عروة وقسم غنيمة ظفر بها بينهم، وأخذ نصيباً كنصيب أحدهم، لكنه استخلص لنفسه جارية كانت مع الإبل فرفض الصعاليك ذلك و «قالوا: لا واللات والعزى لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيباً، فمن شاء أخذها، فجعل يهم بأن يحمل عليهم فيقتلهم وينتزع الإبل منهم، ثم يذكر أنهم صنيعته، وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع، فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يرد عليهم الإبل إلا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله فأبوا ذلك عليه، حتى انتدب رجل منهم فجعل له راحلة من نصيبه»[2].

وفيهم الفاتك الذي لا يرحم ولا يجد مانعاً يمنعه من قتل الشخص الذي يملك مالاً، فها هو الشنفرى يفخر بأنه قتل والد أسرة، فيتَّم الأولاد وأيَّم النساء وعاد ظافراً:

فَأَيَّمْتُ نِسْوَاناً وَأَيْتَمْتُ وِلْدَةً وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلْيَلُ

وها هو السليك يفتك بشيخ عجوز نائم بدون أية شفقة لينهب ماله ويسوق إبله[3] فرحاً بما ظفر.

إذن تنضوي تحت اسم الصعاليك فئات كثيرة غير متجانسة تجمع بينها صرخات الجوع وآهات الألم وهبات التمرد ومن الممكن أن نميز فيهم ثلاث مجموعات[4]:

١ ـ مجموعة من الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم مثل حاجز الأزدي وقيس بن الحدادية.

---

(١) انظر المفصل لجواد علي ٩: ٦١٢ وقارن به مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣.

(٢) الأغاني ٦: ١٩٣.

(٣) الأغاني ١٨: ١٣٥.

(٤) تاريخ الأدب العربي. العصر الجاهلي. شوقي ضيف. دار المعارف بمصر طبعة خامسة. ص ٣٧٥.

٢ ـ مجموعة من أبناء الحبشيات السود ممن نبذهم آباؤهم ولم يُلحقوهم بهم لعار ولادتهم مثل السليك بن السلكة وتأبط شراً والشنفرى، وكانوا يشركون أمهاتهم في سوادهم فسمّوا باسم أغربة العرب.

٣ ـ مجموعة احترفت الصعلكة احترافاً، وقد تكون من الأفراد مثل عروة بن الورد العبسي، وقد تكون قبيلة برمتها مثل قبيلتي هذيل وفهم.

فأسباب التصعلك متعددة ونوعية الصعلوك تختلف من واحد إلى آخر، ولكننا مع ذلك سنحاول إيراد بعض الخصائص العامة لهؤلاء الصعاليك.

١ ـ الفقر:

لعل أول ما يطالعنا في حياة هؤلاء الصعاليك جميعاً فقرهم وصيحات الجوع التي ردّدوها في حياتهم وصوروها في أشعارهم، فسواء كان الصعلوك خليعاً أو منبوذاً لسواد لونه فإنه يجد نفسه وحيداً في مواجهة العالم محروماً من عطف القبيلة وحدبها وليس له من يرد عنه غائلة الجوع «والجوع حليف ملازم للصعاليك، لم ينفر منهم، ولم يبتعد عنهم، لذلك كثر الحديث عنه في شعرهم وأخبارهم، وقد كانوا يهربون منه، لكنهم لم يفلتوا منه، فقد كان ممسكاً بهم، ملازماً لهم، ما داموا صعالكة، فالجوع نفسه جزء من أجزاء الصعلكة. وفي شعر عروة بن الورد أن الجوع كان ينزل به، حتى يكاد يهلكه، أنزل به الهزال وأراه الموت، لولا أنه كان يتهرب منه بالغارة، لينال منه البلغة، فالمنايا خير من الهزال المقيت المميت. وفي شعر للسليك أن الجوع كان يغشاه في الصيف، حتى كان إذا قام تولاه إغماء شديد، يريه الدنيا ظلاماً من أثر الجوع»[١]. أما ردة فعلهم على هذا الجوع فقد اختلفت، إذ منهم من استكان وطلب الإحسان، في حين لجأ فريق آخر إلى حد السيف ليضع حداً له.

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ٩: ٦٠٦.

٢ ـ التمرد:

أما الخاصية الثانية التي تطالعنا في حياة الصعاليك فهي خاصية التمرد، التمرد العام، التمرد على قانون القبيلة، على نمط حياتها، على مُثُلها، على عاداتها وتقاليدها. فما تصعلك «أغربة العرب» إلا رفض حاد لقانون هذه القبيلة التي ترفض الاعتراف بنسب الأبناء السود، أبناء الحبشيات. فتأبط شراً ابن أمة حبشية سوداء «فورث عنها سوادها، وربما كان لسواده وتعيير عشيرته له به وبأنه ابن أمة أثر في تصعلكه»[1].

وعاش الشنفرى بعيداً عن قبيلته، بل نراه يخص قبيلته بانتقامه الرهيب وغزواته الدائمة «معلناً في أشعاره أنه يقتص لنفسه منهم»[2]. ولعل سبب ذلك أن قبيلته قتلت أباه.

لذلك قام هؤلاء الصعاليك بنبذ قبائلهم كما نبذتهم، وفضلوا حياة التشرد والتصعلك على الخضوع لقانونها الجائر، والتلال الوعرة على ربوع القبيلة، وحياة الوحدة المتألقة على حياة الجماعة القاتمة.

ومن هذه الزاوية نفسها يمكن النظر إلى حياة عروة بن الورد الذي كان والده من أشراف عبس، أي أن القبيلة لم تنبذه، لكنه هو الذي نبذها، نبذ عاداتها وقوانينها الجائرة. فما اهتمامه بالفقراء الجائعين إلا دليل على أن القبيلة أهملتهم واحتقرتهم وأنه يرفض هذا الإهمال ويراه غير معقول وغير مقبول. ولذلك كانت زوجته تعنفه وتلومه، فزوجته ابنة القبيلة وحاملة مُثُلها، وكان يعارضها ويعارض القبيلة من خلالها، ويصرح أن من حق هؤلاء البشر الحصول على القوت والغذاء والمساعدة، وأن من يقوم بذلك يطير ذكره في الآفاق:

ـ أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يا بْنَتَ مُنْذِرِ وَنَامِي وَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي

(١) العصر الجاهلي، شوقي ضيف ص ٣٧٧.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٣٧٩.

- ذَرِينِي وَنَفْسِي أُمَّ حَسَّانَ إِنَّنِي ... بِهَا قَبْلَ أَنْ لاَ أَمْلِكَ الْبَيْعَ مُشْتَرِي[1]

- أَحَادِيثَ تَبْقَى وَالفَتَى غَيْرُ خَالِدٍ ... إِذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً فَوْقَ صُيَّرِ[2]

- تُجَاوِبُ أَحْجَارَ الكِنَاسِ وَتَشْتَكِي ... إِلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ رَأَتْهُ وَمُنْكَرِ[3]

بل إنه لا يقبل بهذه الأعراف القائمة بين الناس والتي تبجّل الغني وتغض النظر عن مساوئه فيقول:

- دَعِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي ... رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الْفَقِيرُ

- وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ ... وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخِيرُ[4]

- وَيُقْصِيهِ النَّدِيُّ وَتَزْدَرِيهِ ... حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ[5]

- وَيُلْفَى ذُو الْغِنَى وَلَهُ جَلاَلٌ ... يَكَادُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ

- قَلِيلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ ... وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورُ

فعروة إذ يصور هذا الواقع الممالىء للغني يفضح ظلمه وجوره ويعلن رفضه. ففي ذات الصعلوك بذرة تمرد وتميّز وتفرد، وهو «فارس اليأس وبطل الحرية خارج المجتمع، وعدو التقاليد التي تسوّي بين الناس في الظلم والفقر والمهانة، ولا تسوي بينهم في القيمة والغنى والكرامة»[6].

---

(١) ذريني: اتركيني، دعيني.

(٢) الهامة: الجثة. والهامة طائر يقال إنه يخرج من رأس الميت. الصير: حجارة تجعل كالحظيرة زرباً للغنم.

(٣) الكناس: موضع.

(٤) الخير: الكرم والشرف.

(٥) الندي: المجلس. حليلته: زوجته.

(٦) انظر الأمالي لأبي علي القالي. دار الأفاق. بيروت ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م، ٢: ١٢٢.

٣ ـ اللجوء إلى السلاح:

قاد هذا التمرد فريقاً من الصعاليك إلى اللجوء إلى السلاح في سبيل تحصيل رزقهم عنوة، غير منتظرين إحسان المحسنين ولا عطايا الموسرين، فهم يرون أن حقهم في أيدي غيرهم، وبخاصة في أيدي الأغنياء البخلاء، وليس عليهم إلا أن يأخذوا هذا الحق بقوة السلاح. وها هو عمرو بن براقة الهمداني يشير إلى أهمية الشجاعة والقوة والمقاومة فيقول[1]:

ـ مَتَى تَجْمَعِ الْقَلْبَ الذَّكِيَّ وَصَارِماً   وَأَنْفاً حَمِيًّا تَجْتَنِبْكَ المَظَالِمُ

ـ مَتَى تَطْلُبِ المَالَ المُمنَّعَ بِالْقَنَا   تَعِشْ مَاجِداً أَوْ تَخْتَرِمْكَ المَخَارِمُ[1]

ففي اللجوء إلى السلاح إذن تحرر حتمي، تحرر من الفاقة في حال النجاح، أو تحرر من هذه الحياة البائسة في حال الفشل.

وأكّد الشنفرى في لاميته على أهمية السلاح واللجوء إليه فقال:

ـ وَإِنّي كَفَانِي فَقْدُ مَنْ لَيسَ جَازِياً   بِحُسْنَى وَلاَ فِي قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ

ـ ثَلاثَةُ أَصْحَابٍ: فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ   وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

فهو يستغني عن الناس البخلاء اللؤماء بثلاثة أشياء هي قلب شجاع وسيف صقيل وقوس متينة. واللافت أنه أشار إلى هذه الأشياء بكلمة أصحاب، فارتقى بها من مستوى الأشياء إلى مصاف الرفاق والأصحاب تعبيراً عن أهميتها ومكانتها لديه.

ولم يخرج تأبط شراً عن هذا الإطار، فقد أمضى حياته غازياً

وَلَسْتُ أَبِيتُ الدَّهْرَ إِلاَّ عَلَى فَتىً   أَسَلِّبُهُ أَوْ أَذْعَرُ السِّرْبَ أَجْمَعَا

---

(١) تخترمك: تهلكك. المخارم: جمع المخرم وهو الطريق في الجبل أو الرمل.

ولم يكتفِ هؤلاء الصعاليك باللجوء إلى السلاح، بل نراهم يعيبون الصعاليك المسالمين، ويحثون النساء على عدم الاقتران بهم. يقول[1] السليك:

فَـلاَ تَـصِـلِـي بِـصُـعْـلِـوكٍ نَـؤُومٍ إِذَا أَمْـسَـى يُـعَـدُّ مِـنَ الْـعِـيَـالِ

وَلَـكِـنْ كُـلُّ صُـعْـلُـوكٍ ضَـرُوبٍ بِـنَـصْـلِ الـسَّـيْـفِ هَـامَـاتِ الـرِّجَـالِ

فمن كان الخمول والنوم والجبن خصاله لا يستحق أن يعد رجلاً أو يعامل كالرجال، بل الرجل الرجل من سل سيفه من غمده، وهجم على رزقه، وقارع أعداءه بقلب لا يعرف الخوف، وزاد من حدة ثورة الصعلوك وشدة اعتماده على قوته الجسدية وسلاحه أنه كان فرداً واحداً وحيداً محروماً من عناية القبيلة وقوتها، لذلك «كان يقاتل بضراوة قتال المستميت لأنه إن لم يدافع عن نفسه هلك»[2] وذهبت ريحه.

ولكن هذا القتال الشديد لا يعني أن الصعلوك المقاتل كان يهاب الموت، ففي الواقع كان يرى الموت أخف وطأة من عيشة الذل والضَعة. وقد ذكر ذلك صراحة أبو خراش الهذلي فقال:

مَـخَـافَـةَ أَنْ أَحْـيَـا بِـرَغْـمٍ وَذِلَّـةٍ وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى رَغْمِ

فالذل مرفوض، ومن أجله رفض القبيلة كلها لأنها لم تعامله معاملة كريمة، وهو على استعداد لرفض الحياة كلها إن ارتبطت بالذل الذي عافته نفسه ف «الفارس الصعلوك أبعد الناس تعلقاً بأماني الحياة، فهو راغب عن الدنيا وإن كان من أكابر عشاق مسراتها وملاذها الطبيعية المباشرة. لكنه يعف عن عيشة مع الضعة وعن غذاء مع الذل، وعن عمر بلا مغامرة أو مأثرة فروسية. ولذلك كانت اللحظة الفنية هي ذروة الحياة عنده. فكان يحمل شعار: أن يعيش الإنسان عرضاً وعمقاً، وألا يعيش طولاً

(١) انظر المفصل لجواد علي ٩: ٦٠٣ والشعراء الصعاليك. ص ٢٣٥.

(٢) انظر المفصل لجواد علي ٩: ٦٠٨.

واستمراراً رتيباً عميقاً»[1].

وبالفعل مات الشنفرى قتلاً[2]، وكذلك تأبط شراً[3] والسليك ابن السلكة[4]. قتلوا في غارات لهم، لكن اللافت أنهم لم يجزعوا من الموت بل عانقوه معانقة، ورغبوا في أن ترمى جثثهم في الطبيعة التي عاشوا في حضنها، بين ربوعها وتلالها ووديانها، كي تفترسهم الوحوش والسباع. لعلهم بذلك يهدفون إلى أن يتابعوا، من خلال هذه الوحوش، حربهم التي لا هوادة فيها. وأن يكونوا عطاء وهبة وغذاء للعفوية الأولى وعنصراً متناغماً من عناصر الطبيعة الحية المتواثبة.

٤ ــ التمتع بقوى خاصة:

عاش الصعلوك وحيداً شريداً متمرداً، وأبى أن يقبل ما لحقه من ضيم، فامتشق الحسام وانبرى يغزو ويسطو ويقاتل ويقتل، فكثر أعداؤه حتى لم يعد يستطيع أن ينام مطمئناً، بل كان على حذر دائماً، لا يغفو إلا قليلاً ولا يرتاح إلا لماماً، وقد صور ذلك عمرو بن براقة فقال[5]:

تَقُولُ سُلَيْمَى لاَ تَعَرَّضْ لِتَلْفَةٍ ... وَلَيْلُكَ عَنْ لَيْلِ الصَّعَالِيكِ نَائِمُ

وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَنْ جُلُّ مَالِهُ ... حُسَامٌ كَلَوْنِ المِلْحِ أَبْيَضُ صَارِمُ

غَمُوضٌ إِذَا عَضَّ الكَرِيهَةَ لَمْ يَدَعْ ... لَهُ طَمَعاً طَوْعُ اليَمِينِ مُلاَزِمُ

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الصَّعَالِيكَ نَوْمُهُمْ ... قَلِيلٌ إِذَا نَامَ الخَلِيُّ المُسَالِمُ

ولذلك كان لا بد له من أن يشحذ همته، ويتمتع بقوى خاصة تساعده في حربه

---

(١) موسوعة الشعر العربي. مطاع صفدي ١: ٥٤.

(٢) انظر الأغاني. دار الثقافة ٢١: ١٣٤.

(٣) انظر الشعر والشعراء ١: ٢٢٩.

(٤) انظر الأغاني. طبعة بولاق ١٨: ١٣٨.

(٥) الأمالي لأبي علي القالي ٢: ١٢٢.

اللامتكافئة، فاشتهر أكثر من واحد منهم بشدة العدو حتى ضرب المثل فيهم فقيل: أعدى من السليك[1]، وأعدى من الشنفرى[2] وقيل إن تأبط شراً «كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها ثم يجري خلفه، فلا يفوته، حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ثم يشويه فيأكله»[3].

ولا شك في أن هذه الأخبار مبالغ فيها قليلاً، ولكن من الواضح أن صعاليكنا أو بعض مشاهيرهم كانوا يتمتعون بسرعة عدو تسمح لهم بالهرب من متعقبيهم، سواء أكانوا راجلين أم راكبين. إذ يروى أنهم كانوا يسابقون الخيل فيسبقونها، فقد دخل أبو خراش الهذلي مكة، فوجد الوليد بن المغيرة المخزومي يهم بإرسال فرسين له إلى الحلبة فقال له: «ما تجعل لي إن سبقتهما؟ قال: إن فعلت فهما لك. فأرسلا، وعدا بينهما فسبقهما فأخذهما»[4]. قد تكون هذه القصة من باب القصص الذي أرخى ثقله على التراث العربي كله، لكن لا شك في أن بعض الصعاليك توصل إلى سرعة كبيرة أتاحت له النجاة أكثر من مرة أعدائه، وخلصته من موت محتم. ومن طريف ذلك ما روي من أن تأبط شراً وعمرو بن براق والشنفرى أو السليك غزوا بجيلة فلم يظفروا بشيء، وثارت إليهم بجيلة فأسرت عمراً وأفلت الآخران عدواً، ولكنهما لما علما بأسر عمرو، طلب تأبط شراً من صاحبه أن يكمن قريباً من مكان صاحبهما الأسير وأخبره أنه سيتراءى لهم ويطمعهم في نفسه حتى إذا تبعوه آملين أسره، هب إلى عمرو فحل كتافه. ثم تراءى لبجيلة وأخذ يعدو عدواً خفيفاً ويسألهم تخفيف الفدية وإعطاء الأمان حتى أبعدهم عن مكان عمرو ثم علا هضبة أشرف منها على صاحبيه، فإذا هما قد نجوا، فعدا عدواً شديداً ومضى[5] ونجا الجميع.

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٤٧.

(٢) المصدر السابق ٢: ٤٦.

(٣) الأغاني ١٨: ٢١٠.

(٤) المفصل لجواد علي ٩: ٦٠٩.

(٥) الأغاني ١٨: ٢١٢.

واقتخر الصعاليك بمقدرتهم على العدو السريع، وذكروا في أشعارهم أنهم نجوا من الموت مرات عدة بفضل أقدامهم التي تسابق الخيل والطير، وافتخر تأبط شراً بذلك فقال:

لاَ شَيْءَ أَسْرَعُ مِنِّي لَيْسَ ذَا عُذَرٍ   وَذَا جَنَاحٍ بِجَنْبِ الرَّيْدِ خَفَّاقِ[1]

ولشدة أهمية الرجلين بالنسبة إلى الصعلوك الفقير الذي لم يكن يستطيع شراء الخيل من جهة، ويسكن في التلال الوعرة الصعبة المسالك من جهة أخرى، نراه يفدي، رجليه بأمه وخالته أو يفضلهما عليهما، فقد قال[2] حاجز الأزدي عندما أسرته خثعم:

فِدىً لَكُمَا رِجْلَيْ أُمِّي وَخَالَتِي   بِسَعْيِكُمَا بَيْنَ الصَّفَا وَالأَثَائِبِ

فعدو الصعلوك سلاح آخر. من نوع آخر، يلجأ إليه عندما تحيق به الأخطار، فيطير طيراناً إلى النجاة والحرية.

وقرن بعض الصعاليك سرعة عدوهم بسعة حيلتهم، فكانوا يعملون الرأي فيما يتعرضون له من الأخطار، ويبتكرون طرق الخلاص ابتكاراً. فلم يأنفوا من الهرب، بل تفننوا فيه، رافضين نعتهم بالجبن ومعتبرين أنه يتيح لهم متابعة الغارة والفتك بأعدائهم في فرصة أخرى أكثر ملاءمة. يقول[3] أبو خراش الهذلي:

فَإِنْ تَزْعَمِي أَنِّي جَبُنْتُ فَإِنَّنِي   أَفِرُّ وَأَرْمِي مَرَّةً كُلَّ ذَلِكِ

أُقَاتِلُ حَتَّى لاَ أَرَى لِي مُقَاتَلاً   وَأَنْجُو إِذَا مَا خِفْتُ بَعْضَ المَهَالِكِ

وفي الواقع لا يلام الصعلوك على فراره، فقد كان وحيداً شريداً تطارده القبيلة بكاملها أحياناً، وفي تلك الحال لا يعدو الثبات أن يكون ضرباً من الانتحار يرمل

---

(١) العذر شعر ناصية الفرس، وبذا عذر يقصد الخيل. الريد: أعلى الجبل.

(٢) الأغاني ١٢: ٥٢.

(٣) ديوان الهذليين ٢: ١٦٩.

زوجته وييتم أطفاله. وهذا ما أشار إليه أبو خراش:

فَلَوْلاَ ادِّرَاكُ الشَّرِ قَامَتْ حَلِيلَتِي تَخَيَّرُ مِنْ خُطَّابِهَا وَهْيَ أَيِّمُ

وَلَولاَ ادِّرَاكُ الشَّرِ أَتْلَفْتُ مُهْجَتِي وَكَادَ خِرَاشٌ يَوْمَ ذَلِكَ يُيْتَمُ

لكن اللافت ليس فرار الصعلوك، فقد فر العديد من الفرسان من أرض المعركة[1]، بل طريقة الفرار الخارقة التي يتبعها، فقد فاجأت قبيلة لحيان تأبط شراً وهو في غار يشتار العسل، وسدت عليه الطريق الوحيد، فصب العسل الذي كان بحوزته على الصخر، وشد الزق إلى جسده، وانزلق إلى أسفل الجبل، فأفلت ونجا. وقال في ذلك قصيدته التي مطلعها:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جِدُّهُ أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرهُ وَهْوَ مُدْبِرُ[2]

ويذكر أبو الفرج قصة أخرى تظهر سعة حيلة تأبط شراً وبعد نظره وحسن تدبره، فقد أغار تأبط شراً على بجيلة ومعه عمرو بن براق واطردا نعماً، فطاردتهما بجيلة وسبقتهما إلى عين ماء لا بد من أن يمرا بها، وجاءا، وقد بلغ العطش منهما كل مبلغ، فأراد ابن براق الاندفاع للشرب فقال له تأبط شراً: تمهل إنني أسمع وجيب قلوب الرجال فأجاب عمرو بن براق: ذلك وجيب قلبك. لكن تأبط شراً ألح عليه وحذره فلم يقبل، ونزل فشرب ولم تمسكه بجيلة لأنها كانت تبغي القبض على تأبط شراً أولاً. وعندما عاد قال له تأبط شراً إنما يريدونني. ثم اتفق معه على حيلة، بأن يتراءى لهم ويغريهم بإمساكه عسى أن يفلت تأبط شراً إذا كانوا قد قبضوا عليه. وبالفعل ذلك ما حدث. إذ نزل تأبط شراً ليشرب فأمسكوا به وقيّدوه، ثم تراءى لهم عمرو بن براق وأطمعهم في نفسه فعدوا خلفه وتركوا تأبط شراً، ففر وهو في كتافه، ولحق به عمرو بن براق، فقطع كتافه وفر الاثنان[3].

---

(١) راجع باب الجبن والفرار في العقد الفريد لابن عبدربه. ١: ١٣٨ وما بعدها.

(٢) الأغاني ١٨: ٢١٥.

(٣) الأغاني ١٨: ٢١١.

فالصعلوك أبداً على حذر، أنى توجه ديدنه الحذر، يعمل الرأي ويقلب وجوهه كي يقي نفسه المهالك والمخاطر، فعندما خرج السليك للإغارة على قبيلة مراد مع صعلوكين آخرين، طلب منهما الاختباء كي يأتي الرعاء ويستطلع أخبار أهل الحي، فإن كانوا بعيدين أنشد شعراً اتفقا عليه. ثم اقترب من الرعاء وأخذ يحادثهم حتى علم أن الفرسان بعيدون فقال لهم ألا أغنّيكم؟ فقالوا: بلى غنّنا. فرفع صوته يغني بالشعر المتفق عليه. فلما سمع صاحباه ذلك الشعر أتيا السليك فاطردوا الإبل وذهبوا بها ولم يبلغ الصريخ الحي حتى فاتوهم بالإبل[1].

وإلى جانب شدة العدو وسعة الحيلة عرف الصعاليك بأنهم أعرف الناس بدروب الجزيرة حتى ضرب فيهم المثل فقيل الصعاليك أهدى من القطا[2] وهذا أمر طبيعي، فقد امتهن الصعاليك الغزو والسطو، وكانت القبائل تطلبهم لتقتص منهم، فكان لا بد لهم من أن يلموا إلماماً شديداً بدروب هذه الطبيعة القاسية كي تكون إلى جانبهم، وتساعدهم في هجومهم وفرارهم، فتعرفوا عن كثب إلى شعابها وجبالها ووديانها وخبروا مسالكها ومهالكها وأماكن الرصد وأماكن الاختباء فيها. وصوروا ذلك في أشعارهم، فقال الشنفرى:

ـ وَمَرْقَبَةٍ عَنْقَاءَ يَقْصُرُ دُونَهَا ... أَخُو الضِّرْوَةِ الرِّجْلُ الحَفِيُّ المُخَفَّفُ

ـ نَعَبْتُ إِلى ذُرَاهَا وَقَدْ دَنَا ... مِنَ اللَّيْلِ مُلْتَفُّ الحَدِيقَةِ أَسْدَفُ

ـ فَبِتُّ عَلَى حَدِّ الذِّرَاعَيْنِ مُجْذِياً ... كَمَا يَتَطَوَّى الأَرْقَمُ المُتَعَطِّفُ

وقال تأبط شراً مصوراً قنة الجبل التي احتمى بها:

وَقُلَّةٍ كَسِنَانِ الرُّمْحِ بَارِزَةٍ ... ضَحْيَانَةٍ فِي شُهُورِ الصَّيْفِ مِحْرَاقِ

بَادَرْتُ قُنَّتَهَا صَحْبِي وَمَا كَسِلُوا ... حَتَّى نَمَيْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ

---

(١) الأغاني ١٨: ١٣٤.

(٢) معجم الشعراء للمرزباني. ص ٤٦٨.

لاَ شَيْءَ فِي رَيْدِهَا إلاَّ نَعَامَتُهَا ... مِنْهَا هَزِيمٌ وَمِنْهَا قَائِمٌ بَاقِ

ويبدو أن الأرض كلما توعرت وصعبت مسالكها صارت محببة إلى قلوب الصعاليك الذين «اتخذوا من الكهوف والمنحدرات والمسترات المشرفة على الأودية والطرق، مواضع رصد واختفاء، يراقبون منها حركات المارة، فإذا وجدوهم دخلوا موضعاً صعباً يمكن حصرهم به انقضوا عليهم، فأخذوا منهم ما يكون عندهم من متاع هذه الدنيا، ثم هربوا بما غنموا إلى مخابئهم حيث لا يصل إليهم أحد، وإن وجدوا أن السابلة أقوى منهم وأشد بأساً، اتخذوا من الفرار وسيلة للسلامة والنجاة، فلا يلحقهم متعقب، ولا يطمع أحد في إصابتهم بمكروه. وهم على علم واسع وخبرة عالية بمجاهل البوادي وبخبايا الأرض، وهكذا يكونون في نأي عن التعقيب وفي منجاة من التعقب»[1].

رابطة الصعلكة:

عاش الصعلوك وحيداً شريداً متمرداً على قبيلته نابذاً لها منبوذاً منها، وبالتالي محروماً من العصبية القبلية التي كانت ضمانة لكل فرد من الأفراد في العصر الجاهلي. فكان من الطبيعي أن يسعى هذا الصعلوك إلى بديل لهذه العصبية لدى رفاقه من الصعاليك الآخرين، سواء أكانوا من قبيلته أم من القبائل الأخرى. فنشأت بينهم رابطة عصبية شدت بعضهم إلى بعض، فكان الصعلوك يحدب على رفاقه ويساعدهم مخاطراً بنفسه في سبيل إنقاذهم، ويقسم لهم قسماً من الرزق الذي يحصل عليه. واللافت أن الصعلوك كان يخاطر بنفسه في سبيل الحصول على الغنيمة ويعود فيبددها على رفاقه. يقول عروة بن الورد.

إِنِّي امْرُؤٌ عَافِي إِنَائِي شِرْكَةٌ ... وَأَنْتَ امْرُؤٌ عَافِي إِنَائِكَ وَاحِدُ[2]

أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وَأَنْ تَرَى ... بِجِسْمِي شُحُوبَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ جَاهِدُ

---

(١) المفصل لجواد علي ٩: ٦١٦.

(٢) العافي: طالب المعروف. عافي إنائك واحد: أي تأكل لوحدك.

أُفَرِّقُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ ... وَأَحْسُو قَرَاحَ الْمَاءِ والمَاءُ بَارِدُ[1]

ويصف الشنفرى غزوة له مع تأبط شراً وآخرين، فشبه تأبط شراً بأم العيال التي توزع القوت على أبنائها وتقلل الحصص مخافة أن يدهمهم الجوع قبل عودتهم ظافرين فيقول:

وَأُم عِيَالٍ قَدْ شَهِدْتُ تَقُوتُهُمْ ... إِذَا أَطْعَمَتْهُمْ أوتَحَتْ وَأَقَلَّتِ

تَخَافُ عَلَيْنَا الْعَيْلَ إِنْ هِيَ أَكْثَرَتْ ... وَنَحْنُ جِيَاعٌ أَيَّ آلٍ تَأَلَّتِ

وَمَا إِنْ بِهَا ضِنٌّ بِمَا فِي وِعَائِهَا ... وَلَكِنَّهَا مِنْ خِيفَةِ الْجُوعِ أَبْقَتِ

فالروح الرفاقية تسود بين الصعاليك، وتهيمن بينهم أخوة العيش والمصير، فيسعون معاً، ويقاتلون معاً، ويرثون من يموت منهم كما فعل تأبط شراً عندما رثى رفيقه الشنفرى بقصيدته التي مطلعها:

عَلَى الشَّنْفَرَى سَارِي الغَمَامِ وَرَائِحٌ ... غَزِيرُ الكُلَى مِنْ صَيِّبِ المَاءِ بَاكِرُ

والصعلوك يقاتل الآخرين بوحشية وقسوة لكنه متى عاد إلى رفاقه الصعاليك انقلب حنوناً شفوقاً «كريماً يعطي مما ناله بقوته وبسلاحه وبذكائه. هذا عروة بن الورد وأبو خراش الهذلي وغيرهما نجد فيهم النقيضين، نجد فيهم القسوة بل الوحشية، ثم نجد فيهم العطف والشفقة والرحمة والإشفاق على الضعفاء، وما الجمع بين النقيضين إلا من واقع هذه الظروف النفسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية التي كانوا يعيشون فيها»[2].

وقد ارتقت هذه العصبية الرفاقية وتجاوزت العصبية القبلية إذ «كانوا يقتسمون ما يغنمون، وكانوا يتساوون في القسمة، فلا يختص الرئيس نفسه بنصيب أكبر من غيره»[3]. ولعل أبلغ معالم هذه الأخوة، أخوة الواقع والمصير قد تجلت لدى عروة بن الورد الذي كان محط أنظار الصعاليك البؤساء الذين يقصدونه أيام الجدب ويصرخون

---

(١) حسا الماء: شربه شيئاً فشيئاً. القراح: الخالص الذي لا يخالطه لبن ولا غيره.

(٢) انظر المفصل لجواد علي ٩: ٦١٣ ــ ٦١٤.

(٣) الحياة العربية من الشعر الجاهلي لأحمد محمد الحوفي ص ٣٠٦.

مستنجدين به قائلين أيا أبا الصعاليك أغثنا، فكان يرق لهم ويخرج بهم فيصيب معاشهم»[1]. وقد تطورت الصعلكة عند عروة حتى شابهت ضرباً من الفروسية التي تأخذ من القوي لتعطي الضعيف، وتسرق الغني البخيل لتطعم الفقير الجائع «بل لعلها تتقدَّمها في هذه الناحية من التضامن الاجتماعي بين الصعلوك والمعوزين في قبيلته. وبلغ عروة من ذلك أنه كان لا يؤثر نفسه بشيء على من يرعاهم من صعاليكه، فلهم مثل حظه، غزوا معه أو قعد بهم المرض أو الضعف. وهو يضرب بذلك مثلاً رفيعاً في الرحمة والشفعة والبذل والإيثار»[2]].

هذه هي أهم ملامح حركة الصعاليك الذين جمعوا النقيضين، والذين أساء الجانب السلبي منهم إلى حركتهم قديماً، وأضاء الجانب الإيجابي منهم حركتهم حديثاً، حتى غالى بعض الباحثين المعاصرين في تقديرهم وعدوهم رواد اشتراكية ما، وحركة إصلاحية في المجتمع الجاهلي.

ولعل خير ما نختم به هذا الكلام هو خصائص أدبهم التي يمكن تلخيصها على النحو التالي[3]:

١ ـ يصور ضرباً من الأخلاق والنزعات لا تجده في غيره.

٢ ـ يصور شعرهم نفسياتهم وأعمالهم فهو صدى للواقع.

٣ ـ يتميز شعرهم بوحدة الموضوع، فليس فيه مقدمات تمهيدية من غزل وبكاء أطلال ووصف لرحيل أو رواحل أو استطراد.

٤ ـ أكثر شعرهم مقطعات.

٥ ـ ليس في شعرهم غزل، وكيف يتغزل من يحيا مثل حياتهم؟

٦ ـ يكثرون من مخاطبة زوجاتهم في شعرهم.

---

(١) انظر الأغاني ٢: ١٩٤.

(٢) العصر الجاهلي. شوقي ضيف. ص ٣٨٤.

(٣) الحياة العربية من الشعر الجاهلي لأحمد محمد الحوفي. ص ٣٠٧.

شعر الشنفرى

الشنفرى

يعد الشنفرى من أشهر الصعاليك في العصر الجاهلي ومن ألمع شعرائهم، ومع ذلك، اختلف الرواة، كالعادة، في اسمه، فقيل إنه: ثابت بن أوس الأزدي[١].

وعمرو بن مالك الأزدي[٢].

وعمرو بن براق نفسه[٣].

وقيل إن الشنفرى اسمه لا لقبه[٤]، والشنفرى يعني الغليظ الشفاه، ويدل ذلك على أن دماء حبشية تجري في عروقه من ناحية أمه، فهي أمة حبشية «وقد ورث عنها سوادها ولذلك عُدَّ في أغربة العرب»[٥] وإذا اختلف الرواة في اسمه فقد أجمعوا على أنه من الأزد، القبيلة القحطانية المعروفة، وكان من فتاك العرب وعدّائيهم «وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم»[٦] وصديق تأبط شراً. لا نعرف الكثير عن حياته، لكن من المجمع عليه أنه كان يحقد على بني سلامان الأزديين حقداً شديداً. وذكر في تفسير ذلك أنه وقع أسيراً وهو صبي في بني شبابة من فهم، وعاش بينهم إلى أن وقع أحد بني شبابة أسيراً في بني سلامان، ففدى بنو شبابة الأسير به. فانتقل الشنفرى

---

(١) انظر المفصل لجواد علي ٩: ٦٣٧.

(٢) راجع الأعلام للزركلي ٥: ٨٥.

(٣) راجع المفصل لجواد علي ٩: ٦٣٧.

(٤) انظر العصر الجاهلي لشوقي ضيف. ص ٣٧٩.

(٥) االمرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٦) انظر الأعلام للزركلي ٥: ٨٥.

إلى بني سلامان ونشأ بينهم يحسب نفسه منهم، ثم أراد الزواج من ابنة رجل منهم فرده والدها رداً عنيفاً أثّر فيه، فعاد إلى بني فهم، وأخذ يغير على بني سلامان للإهانة التي لحقته من الرجل والتي كانت سبب صعلكته.

ولا تبدو هذه الرواية مقنعة، فليس سبباً كافياً أن يرده الرجل رداً عنيفاً، ولا تفسر هذه القصة غضبه الشديد وحقده على بني سلامان، وهم من قومه، ولعل الأرجح ما ذكره بعض الرواة من أن أباه قد قتله قاتل من الأزد، أي من قومه، هو حزام بن جابر، فقرر الانتقام عندئذ من قومه[1] شر انتقام. والثابت في حياة صعلوكنا الشاعر أمران:

أولهما أنه عاش في فهم، وقيل إنه نزح إليهم مع أمه وأخيه[2].

ثانيهما أنه خص بني سلامان بغاراته.

وهنا يختلط الواقع بالأسطورة في قصة جميلة ممتعة، إذ زعم الرواة أن الشنفرى أقسم أن يقتل مئة من بني سلامان، فطفق يغير عليهم ويقتلهم فيعرفون نبله بأفواقها[3] في قتلاهم، حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً. ثم غزاهم غزوة فعلموا به وحذروه، فخرج هارباً، إلا أنهم خرجوا في أثره، فمر بامرأة منهم يلتمس عندها الماء فعرفته، وأطعمته سمناً ليزيد عطشاً، وسقته لبناً رائباً بعد أن غيّبت عنه الماء، ثم خرج من عندها. وجاءها القوم فأخبرتهم خبره فرصدوه على بئر لهم ليس لهم ماء غيره. فلما جن عليه الليل، أقبل إلى الماء، وصاح حين دنا منه: إني أراكم. وليس يرى أحداً، إنما يريد بذلك أن يعلم إن كان هناك أحد يترصد به.

فسكت القوم ولم ينبسوا ببنت شفة. ورأى سواداً، وقد كانوا أجمعوا إن قتل منهم قتيل أن يمسكه الذي إلى جنبه لئلا تكون حركة، فرمى لما أبصر السواد، فأصاب

---

(١) المفصل لجواد علي ٩: ٦٣٨.

(٢) العصر الجاهلي لشوقي ضيف. ص ٣٧٩.

(٣) الأفواق: مواضع الوتر من السهام.

رجلاً وقتله، ولكن لم يتحرك أحد، فأمن في نفسه وأقبل إلى البئر، فوضع سلاحه ثم انحدر فيه، فلم يرعه إلا بهم على رأسه قد أخذوا سلاحه. فخرج حينئذ محاولاً الهرب، فضرب بعضهم يده الشمال فسقطت، فأخذها الشنفرى ورمى بها كبد الرجل فخر عنده في البئر، فوطيء رقبته فدقها.

ثم خرج إليهم فقتلوه وصلبوه. ولبث عاماً أو عامين مصلوباً وعليه من نذره رجل، ثم جاء رجل منهم كان غائباً، فمر به وقد سقط، فركل جمجمته برجله، فدخل فيها عظم من رأسه، ولم تلبث أن هاجت عليه فمات منها، فكان ذلك الرجل هو تمام المئة[1].

ولا تخفى على القارىء المتأني النزعة القصصية الغالبة على هذه الرواية الأسطورية من جهة، ومن جهة أخرى تفيد بعض الروايات أن الشنفرى قبض عليه رجلان من الأزد، وقاداه إلى بني سلامان فربطوه إلى شجرة[2]، وقالوا له أنشد. فقال: الإنشاد على حين المسرة، ثم قال[3]:

فَلاَ تَدْفِنُونِي إِنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ	عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ خَامِري أُمَّ عَامِرِ
إِذَا حَمَلُوا رَأْسِي وَفِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي	وَغُودِرَ عِنْدَ الْمُلْتَقَى ثَمَّ سَائِرِي
هُنَالِكَ لاَ أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي	سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبْسَلاً بِالْجَرَائِرِ

ثم عذبوه وتفننوا في قتله. وروي أن رجلاً من بني سلامان رماه بسهم في عينه فقتله[4]، وكان ذلك نحو العام ٧٠ ق. هـ/[5] ٥٢٥ م.

(١) انظر من الأساطير العربية والخرافات للدكتور مصطفى الجوزو. دار الطليعة. بيروت ١٤٠١ هـ/ ١٩٨٠ م. ص ١٦٨.

(٢) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ٩: ٦٣٨.

(٣) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ١: ٢٥.

(٤) المفصل لجواد علي ٩: ٦٣٩.

(٥) الأعلام للزركلي ٥: ٨٥.

وترك الشنفرى شعراً لكن معظمه ضاع، وبقي منه القليل، وهذا القليل يدل على شاعريته الفذة «فإذا كان عروة بن الورد قد تزعم جماعات الصعاليك، فإن الشنفرى هو زعيمهم شعرياً بدون مزاحم. ذلك أن الشنفرى لم يطلعنا وحسب على أسرار حياة الصعاليك وأهدافهم، وأساليب تصعلكهم، كما فعل غيره من الشعراء زملائهم بل لقد ارتفع في تصوير هذه الحياة إلى مستوى الخلق الفني الموهوب، حتى أضحت لاميته واحدة من أهم وثائق الفن والحياة المعبرة عن نموذج المعيشة الجاهلية»[١]. وقد نالت هذه اللامية شهرة واسعة واختلف في نسبتها إليه، فقيل إن قائلها هو خلف الأحمر[٢] وقيل إنه حماد[٣] الراوية، لكن من الباحثين من رفض هذه الادعاءات انطلاقاً من أن هذه القصيدة أصدق قطعة شعرية في أغاني الصحراء، وأن الانتحال إذا تناول غيرها فهو عنها بعيد لم يمسسها ولا حام حولها. ويؤيده في هذا الرأي بروكلمن ويقول: لا يوجد لدينا أي سبب في أن نعزو هذه القصيدة الرائعة إلى غير قائلها الشنفرى»[٤]. ووقف بعض الباحثين الآخرين موقفاً وسطاً انطلاقاً من بنية القصيدة فرأى أن «أسلوب صياغتها المتين المبدع، والحماسة النفسية التي توقد وهجها، كل هذا يجعلها بعيدة عن أن تكون مصنوعة، أو منحولة على يد ليست يد شاعر، ولشاعر ليس من الجيل الجاهلي، ولشاعر جاهلي ليس من طائفة الصعاليك. ولا يهم بعد هذا إن كان صاحب القصيدة هو الشنفرى أو تأبط شراً، ما دام في عضوية هذه القصيدة، تتردّد روح واضحة لا يمكن أن تتكرر فيما عدا ذلك العصر، ولدى فئة ليست من جذوة الصعلكة والبداوة الفردية المبدعة، والتجربة الطبيعية المباشرة التي اختصت بها لامية العرب»[٥].

---

(١) موسوعة الشعر العربي لمطاع صفدي ١: ٦١.

(٢) انظر الأمالي لأبي علي القالي ١: ١٥٦ والأغاني ٨٧/٢١.

(٣) تاريخ الآداب العربية لكارلو نالينو ص ٧٣ نقلاً عن المفصل لجواد علي ٦: ٦٤٠.

(٤) انظر لامية العرب أو نشيد الصحراء. تحقيق د. محمد بديع شريف. ص ٨.

(٥) موسوعة الشعر العربي لمطاع صفدي ١: ٥٥ ـ ٥٦.

والذي نراه أن قضية لامية العرب هي قضية الشعر الجاهلي كله، هل قال هذه الأشعار من نسبت إليه من الشعراء؟ أم أن الرواة والقصاص تدخلوا تدخلاً كبيراً، فأضافوا وعدلوا وحذفوا وحوروا ونحلوا؟ تلك قضية لم يعد بالإمكان بتها، ولم نعد نملك إلا إيراد ما نجده من روايات.

والجدير بالذكر أن هذه القصيدة، لامية العرب، لقيت من العناية الشيء الكثير، فشرحها قديماً الخطيب التبريزي والزمخشري وابن الشجري وابن أكرم وغيرهم[1] وترجمها حديثاً الأستاذ جورج يعقوب إلى الالمانية، وقرنها بترجمة روكرت التي ظهرت ١٨٤٦ م وترجمة رويس التي ظهرت عام ١٨٥٣ م، وترجمها ريد هوس إلى الانجليزية، وعلق عليها، وترجمت إلى الفرنسية، وشرحت كما ترجمت إلى البولونية والإيطالية وإلى لغات أخرى حية وقديمة. وعني بدراستها المستشرق تيودور نولدكه فحققها[2].

(١) المفصل لجواد علي ٩: ٦٤٠.

(٢) لامية العرب أو نشيد الصحراء للدكتور محمد بديع شريف ص ٨.

الديوان

- ١ -

دعيني وقولي(٥)

وخرج تأبط شراً في مجموعة من فهم، فبهم عامر بن الأخنس والشنفرى والمسيب وعمرو بن براق ومرة بن خليف ليغيروا على العوص وهم حي من بجيلة، فأغاروا وقتلوا منهم نفراً، وأخذوا لهم إبلاً، فساقوها حتى كانوا من بلادهم على بعد يوم وليلة، فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز وهو رئيس القوم، وهم يومئذٍ نحو من أربعين رجلاً، فلما نظرت إليهم صعاليك فهم قالوا لعامر بن الأخنس: ماذا ترى؟

قال: لا أرى لكم إلا صدق الضراب، فإن ظفرتم فذاك، وإن قتلتم كنتم قد أخذتم ثأركم، قال تأبط شراً: بأبي أنت وأمي، فنعم رئيس القوم أنت إذا جد الجد، وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإني أرى لكم أن تحملوا على القوم حملة واحدة، فإنكم قليل والقوم كثير، ومتى افترقتم كثركم القوم. فحملوا عليهم فقتلوا منهم في حملتهم، فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت، وأقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز، فقال تأبط شراً في ذلك شعراً وقال الشنفرى.

[الطويل]

١ ـ دَعِينِي وَقُولِي بَعْدُ مَا شِئْتِ إِنَّنِي ... سَيُغْدَى بِنَعْشِي مَرَّةً فَأُغَيَّبُ

---

(٥) انظر الأغاني ١٨: ٢١٦ (بولاق) و ٢١: ١٤١ ـ ١٤٣ (الهيئة المصرية العامة).

(١) غدا: بكّر، وغدا ذهب غدوة والغدوة ما بين الفجر وطلوع الشمس.

٢ ـ خَرَجْنَا فَلَمْ نَعْهَدْ وَقَلَّتْ وَصَاتُنَا ... ثَمَانِيَةٌ مَا بَعْدَهَا مُتَعَتَّبُ

٣ ـ سَرَاحِينُ فِتْيَانٍ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ ... مَصَابِيحُ أَوْ لَوْنٌ مِنَ الْمَاءِ مُذْهَبُ

٤ ـ نَمُرُّ بِرَهْوِ الْمَاءِ صَفْحاً وَقَدْ طَوَتْ ... ثَمَائِلُنَا وَالزَّادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ

٥ ـ ثَلاَثاً عَلَى الأَقْدَامِ حَتَّى سَمَا بِنَا ... عَلَى الْعَوْصِ شَعْشَاعٌ مِنَ الْقَوْمِ مِحْرَبُ

٦ ـ فَثَارُوا إِلَيْنَا فِي السَّوَادِ فَهَجْهَجُوا ... وَصَوَّتَ فِينَا بِالصَّبَاحِ الْمُثَوِّبُ

٧ ـ فَشَنَّ عَلَيْهِمْ هَزَّةَ السَّيْفِ ثَابِتٌ ... وَصَمَّمَ فِيهِمْ بِالْحُسَامِ الْمُسَيَّبُ

٨ ـ وَظِلْتُ بِفِتْيَانٍ مَعِي أَتَّقِيهُمُ ... بِهِنَّ قَلِيلاً سَاعَةً ثُمَّ خُيِّبُوا

٩ ـ وَقَدْ خَرَّ مِنْهُم رَاجِلاَنِ وَفَارِسٌ ... كَمِيٌّ صَرَعْنَاهُ وَخُومٌ مُسَلَّبُ

١٠ ـ يَشُنُّ إِلَيْهِ كُلُّ رِيعٍ وَقَلْعَةٍ ... ثَمَانِيَةٌ وَالْقَوْمُ رِجْلٌ وَمِقْنَبُ

١١ ـ فَلَمَّا رَآنَا قَوْمُنَا قِيلَ أَفْلِحُوا ... فَقُلْنَا اسْأَلُوا عَنْ قَائِلٍ لاَ يُكَذَّبُ

---

(٢) فلم نعهد أي لم يوكلوا إلى أحد القيام بشؤونهم. وقلت وصاتنا أي لم يوصوا أحداً بأهلهم.

(٣) سراحين جمع سرحان وهو الذئب.

(٤) الرهو: مستنقع الماء. الثمائل جمع الثميلة: بقية الشيء في أسفل الإناء. طوت: اختفت.

(٥) العوص: حي من قبيلة بجيلة. شعشاع: طويل. محرب: شجاع.

(٦) السواد: الليل. هجهجوا: صاحوا. المثوّب: الداعي المكرر الدعاء.

(٧) ثابت: تأبط شراً. صمم فيهم: مضى فيهم غير متئن ولا متردّد، المسيب: رجل بعينه.

(٨) الكمي: البطل الشجاع. الوخوم: الرجل الثقيل.

(٩) الريع: المرتفع من الأرض. القوم رجل: مشاة على أرجلهم. المقنب: الجماعة من الفرسان الراكبين الخيول.

(١١) أفلحوا: ظفروا بما يريدون.

ـ ٢ ـ

ألا أم عمرو وأجمعت(*)

[الطويل]

١ ـ أَلاَ أُمُّ عَمْرٍو أَجْمَعَتْ فَاسْتَقَلَّتِ ... وَمَا وَدَّعَتْ جِيرَانَهَا إِذْ تَوَلَّتِ

٢ ـ وَقَدْ سَبَقَتْنَا أُمُّ عَمْرٍو بِأَمْرِهَا ... وَكَانَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ أَظَلَّتِ

٣ ـ بِعَيْنَيَّ مَا أَمْسَتْ فَبَاتَتْ فَأَصْبَحَتْ ... فَقَضَّتْ أُمُوراً فَاسْتَقَلَّتْ فَوَلَّتِ

٤ ـ فَوَا كَبِدَا عَلَى أُمَيْمَةَ بَعْدَمَا ... طَمِعْتُ، فَهَبْهَا نِعْمَةَ الْعَيْشِ زَلَّتِ

٥ ـ فَيَا جَارَتِي وَأَنْتِ غيرُ مُلِيمَةٍ ... إِذَا ذُكِرَتْ، وَلاَ بِذَاتِ تَقَلَّتِ

٦ ـ لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي لاَ سَقُوطاً قِنَاعُهَا ... إِذَا مَا مَشَتْ وَلاَ بِذَاتِ تَلَفُّتِ

(*) راجع المفضليات ص ١٠٨ رقم ٢٠.

(١) أجمعت: عزمت أمرها. استقلت: ارتحلت.

(٢) سبقتنا بأمرها: استبدت واستأثرت به. وكانت: أي فجأتنا بالإبل حتى أظلتنا بها. المطي: جمع المطية وهي الدابة التي تركب.

(٣) بعيني: يقصد أنه يأسف لرؤية رحيلها ولا حيلة له.

(٤) زلت: ذهبت ومنه يقال: زل عمره إذا ذهب.

(٥) مليمة: من ألام إذا أتى بما يلام عليه. تقلت: تبغضت. وقوله: «ولا بذات تقلت» أي ليست ممن يقال فيها أنها تقلت. وهذا البيت لم يروه أبو عكرمة.

(٦) لا سقوطاً قناعها: أي لا يسقط قناعها لشدة حيائها. ولا بذات تلفت: أي لا تكثر التلفت فإنه فعل أهل الريبة.

٧ ـ تَبِيتُ بُعَيْدَ النَّوْمِ تُهْدِي غَبُوقَها	لِـجَـارَتِـهـا إذَا الـهَـدِيَّـةُ قَـلَّـتِ

٨ ـ تَحُلُّ بِمَنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتَهَا	إذَا مـا بُـيُـوتٌ بـالْـمَـذَمَّـةِ حُـلَّـتِ

٩ ـ كَأَنَّ لَهَا فِي الأَرْضِ نِسْياً تَقُصُّهُ	عَـلَـى أَمِّـهـا وإنْ تـكَـلِّـمْـكَ تَـبْـلَـتِ

تحدثك[أ]

تخاطبك[ب]

١٠ ـ أُمَيْمَةُ لا يُخْزِي ثَنَاهَا حَلِيلَهَا	إذَا ذُكِـرَ الـنِّـسْـوانُ عَـفَّـتْ وَجَـلَّـتِ

١١ ـ إذَا هُوَ أَمْسَى آبَ قُرَّةَ عَيْنِهِ	مَآبَ السَّعِيدِ لَمْ يَسَلْ أَيْنَ ظَلَّتِ

١٢ ـ فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ واسْبَكَرَّتْ وَأُكْمِلَتْ	فَلَوْ جُنَّ إنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتِ

١٣ ـ فَبِتْنَا كَأَنَّ الْبَيْتَ حُجِّرَ فَوْقَنَا	بِرَيْحَانَةٍ رِيحَتْ عِشَاءً وَطُلَّتِ

١٤ ـ بِرَيْحَانَةٍ مِنْ بَطْنِ حَلْيَةَ نَوَّرَتْ	لَهَا أَرَجٌ مَا حَوْلَهَا غَيْرُ مُسْنِتِ

---

(٧) الغبوق: ما يشرب بالعشي. تهديه لجارتها: تؤثرها به لكرمها. إذا الهدية قلت: أي في الجدب حين تنفد المؤن وتذهب الألبان.

(٨) المنجاة من النجوة وهي الارتفاع.

(٩) النسي: الشيء المفقود المنسي. تقصه: تتبعه. أمها: قصدها الذي تريده. تبلت: تنقطع في كلامها لا تطيله.

(أ) لسان العرب ٢: ١١ مادة بلت.

(ب) لسان العرب ١٥: ٣٢٤ مادة نسا.

(١٠) الثنا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيىء. ومنه يقال: ثنا الحديث والخبر: حدَّث به وأشاعه. حليلها: زوجها. أميمة: تصغير الأم.

(١١) آب: رجع. لم يسل أين ظلت يقصد أنها لا تبرح بيتها.

(١٢) اسبكرت: طالت وامتدت.

(١٣) حجر: أحيط. ريحت: أصابتها ريح فجاءت بنسيمها. طلت: أصابها الطلل وهو الندى. عشاءً: اختار هذا الوقت لأنه أظهر لرائحة الرياحين.

(١٤) حلية: واد بتهامة أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة. وبطن حلية في حزن أي أرض غليظة، ونبت الحزن أطيب من غيره ريحاً. الأرج: توهج الريح وتفرقها في كل جانب. المسنت: المجدب. ورد هذا البيت في لسان العرب ١٤: ١٩٦ مادة حلا.

١٥ ـ وَبَاضِعَةٍ حُمْرِ الْقِسِيِّ بَعَثْتُهَا — وَمَنْ يَغْزُ يَغْنَمْ مَرَّةً وَيُشَمَّتِ

١٦ ـ خَرَجْنَا مِنَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنَ مِشْعَلٍ — وَبَيْنَ الْجَبَا هَيْهَاتَ أَنْشَأْتُ سُرْبَتِي

غدون[أ] — الحشا[ب] أنسأت[ج]

١٧ ـ أُمَشِّي عَلَى الأَرْضِ التي لَنْ تَضُرَّنِي — لأَنْكِيَ قَوْماً أَوْ أُصَادِفَ حُمَّتِي

١٨ ـ أُمَشِّي عَلَى أَيْنِ الْغَزَاةِ وَبُعْدَها — يُقَرِّبُنِي مِنْهَا رَوَاحِي وَغُدْوَتِي

١٩ ـ وَأُمِّ عِيَالٍ قَدْ شَهِدْتُ تَقُوتُهُمْ — إِذَا أَطْعَمَتْهُمْ أَوْتَحَتْ وَأَقَلَّتِ

حترتهم أتفهت[أ]

٢٠ ـ تَخَافُ عَلَيْنَا العَيْلَ إِنْ هِيَ أَكْثَرَتْ — وَنَحْنُ جِيَاعٌ أَيَّ آلٍ تَأَلَّتِ

أول[أ]

---

(١٥) الباضعة: القاطعة، يعني قوماً غزاة. حمر القسي: أي غذوا مرة بعد مرة فاحمرت قسيهم للشمس والمطر. بعثتها: بعثت هؤلاء وغزوت بهم. يشمت من قولهم شمَّته الله أي خيَّبه والشِّمات: الخيبة. وورد هذا البيت في لسان العرب ٢: ٥١ مادة شمت.

(١٦) مشعل والجبا: موضعان. مشعل موضع بين مكة والمدينة. وجبا شعبة من وادي الجي عند الرويثة بين مكة والمدينة. السربة: الجماعة. وأنشأت سربتي: أظهرتهم من مكان بعيد. يصف بعد مذهبه في الأرض طلباً للغنيمة: (أ) و (ب) لسان العرب ١: ١٦٨.

(ج) معجم البلدان لياقوت ٥: ١٣٤ ولسان العرب ١: ١٦٨.

(١٧) لن تضرني: لا أخاف بها أحداً. لأنكي: لأصيب منهم. الحمة: المنية.

(١٨) أمشي: إشارة إلى غزوه على رجليه. على أين الغزاة: على ما يصيبني من تعب الغزوة. فالأين: التعب. الرواح: المشي. الغدوة: البكرة، ما بين الفجر وطلوع الشمس.

(١٩) أم عيال أراد تأبط شراً لأنهم حين غزوا جعلوا زادهم معه، وكان يقتر عليهم مخافة أن تطول الغزاة بهم فيموتوا جوعاً. والأزد تسمي رأس القوم وولي أمرهم سش أمّاً. أوتحت: أقلت العطاء.

(أ) لسان العرب ٤: ١٦٤.

(٢٠) العيل: الفقر. أي آل تألت: أي سياسة ساست؟

(أ) لسان العرب ٤: ١٦٤ مادة حتر.

٢١ ـ وَمَا إنْ بِهَا ضِنٌّ بِمَا فِي وِعَائِها | وَلكِنَّهَا مِنْ خِيفَةِ الْجُوعِ أَبْقَتِ
٢٢ ـ مُصَعْلِكَةٌ لا يَقْصُرُ السِّتْرُ دُونَهَا | وَلاَ تُرْتَجى لِلْبَيْتِ إنْ لَمْ تُبَيِّتِ

عفاهية[أ] | ما[ب]

٢٣ ـ لَهَا وَفْضَةٌ مِنها ثَلاثُونَ سَيْحَفاً | إذا آنَسَتْ أُولَى الْعَدِيّ اقْشَعَرَّتِ
٢٤ ـ وَتَأْتِي الْعَدِيَّ بارِزاً نِصْفُ سَاقِها | تَجُولُ كَعَيْرِ الْعَانَةِ الْمُتَلَفِّتِ
٢٥ ـ إذَا فَزِعُوا طَارَتْ بِأَبْيَضَ صَارِمٍ | وَرَامَتْ بِمَا فِي جَفْرِها ثُمَّ سَلَّتِ
٢٦ ـ حُسَام كَلَوْنِ الْمِلْحِ صَافٍ حَدِيدُهُ | جُرَازٍ كَأَقْطَاعِ الْغَدِيرِ الْمُنَعَّتِ
٢٧ ـ تَرَاهَا كَأَذْنَابِ الْحَسِيلِ صَوَادراً | وَقَدْ نَهِلَتْ مِنَ الدِّمَاءِ وَعَلَّتِ

وهي[أ] | صودارٍ[ب]

---

(٢١) زيد هذا البيت في منتهى الطلب. وضن: بخل.

(٢٢) مصعلكة: صاحبة صعاليك وهم الفقراء. والعفاهية: الضخمة. لا يقصر الستر دونها: لا تغطي أمرها، يقول هي مكشوفة الأمر. لا ترتجي أن تكون مقيمة إلا أن تريد هي ذاك فتجيء. (أ) و (ب) لسان العرب ١٣: ٥١٨.

(٢٣) الوفضة: جعبة السهام. السيحف: السهم العريض النصل.
أنست: أحست. العدي: جماعة القوم يعدون راجلين للقتال ونحوه.
اقشعرت: تهيأت للقتال.

(أ) انظر اللسان لابن منظور ١٣: ٥١٨، مادة عفه. وورد البيت في لسان العرب ٧: ٢٥٠ مادة وفض.

(٢٤) بارزاً نصف ساقها: يريد أنه مشمِّر جاد. العير: حمار الوحش.
العانة: القطيع من حمر الوحش وإنما شبهه بعير العانة لأن الحمار أغير ما يكون فهو يتلفت إلى الحمير يطردها عن آتانه.

(٢٥) الأبيض: السيف. الصارم: القاطع. الجفر: كنانة السهام.

(٢٦) الجراز: السيف القاطع. أقطاع: جمع قطع والمراد بأقطاع الغدير أجزاء الماء يضربها الهواء فتتقطع ويبدو بريقها. المنعت: الموصوف بالوصف الحسن. ولم يروِ هذا البيت أبو عكرمة.

(٢٧) الحسيل: جمع حسيلة وهي أولاد البقر. تراها: أي ترى السيوف. صدر: رجع عن الماء. عَلَّت: شربت تباعاً.

(أ) و (ب) لسان العرب ١١: ١٥٢.

٢٨ ـ قَتَلْنَا قَتِيلاً مُهْدِياً بِمُلَبِّدٍ   جِمَارَ مِنًى وَسْطَ الْحَجِيجِ الْمُصَوِّتِ

حراماً(أ)

٢٩ ـ جَزَيْنَا سَلاَمَانَ بنَ مُفْرِجَ قَرْضَهَا   بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمُ وَأَزَلَّتِ

٣٠ ـ وَهُنِّئَ بِي قَوْمٌ وَمَا إِن هَنَأْتُهُمْ   وَأَصْبَحْتُ فِي قَوْمٍ وَلَيْسُوا بِمُنْبِتِي

بمنبتي(أ)

٣١ ـ شَفَيْنَا بِعَبْدِ اللّهِ بَعْضَ غَلِيلِنَا   وَعَوْفٍ لَدَى المعْدَى أَوَانَ اسْتَهَلَّتِ

٣٢ ـ إِذَا مَا أَتَتْنِي مِيتَتِي لَم أُبَالِهَا   وَلَمْ تُذْرِ خَالاَتِي الدُّمُوعَ وَعَمَّتِي

٣٣ ـ وَلَوْ لَمْ أَرِمْ في أَهْلِ بَيْتِي قَاعِداً   إِذَنْ جَاءَنِي بَيْنَ العَمُودَيْنِ حُمَّتِي

٣٤ ـ أَلاَ لاَ تَعُدْنِي إِنْ تَشَكَّيْتُ خُلَّتِي   شَفَانِي بِأَعْلَى ذِي البُرَيْقَيْنِ عَدْوَتِي

---

(٢٨) مهدياً: محرماً ساق الهدي. بملبد: بمحرم لبدَّ رأسه أي جعل في رأسه شيئاً من صمغ ليتلبد شعره. يريد قتلنا رجلاً محرماً برجل محرم. جمار منى: أي عند الجمار. والجمار الحصى التي يرمي بها الحجاج في منى.

(أ) انظر الأغاني.

(٢٩) سلامان بن مفرج: القوم الذين أسروه فداء ومنهم حرام بن جابر قاتل أبيه. أزلت: قدّمت. القرض ما يسلف الإنسان من إساءة أو إحسان.

(٣٠) هنيء بي قوم يريد هنيء بي بنو سلامان حين أخذوني في الفدية وما انتفعوا بي. بمنيتي يريد ليس هؤلاء القوم ممن أحب وأتمنى. المنبت: الأصل والعشيرة.

(أ) انظر الأغاني ومنتهى الطلب.

(٣١) الغليل: حرارة العطش، وهو هنا العطش إلى القتل. عبد الله وعوف: شخصان من بني سلامان بن مفرج الذين كان الشنفرى في أسرهم. المعدى: موضع العدو والمراد ساحة القتال. أوان استهلت: في الوقت الذي ارتفعت فيه الأصوات للحرب.

(٣٣) لم أرم: لم أبرح. العمودين: لعله أراد عمودي الخباء. الحمة: المنية وقد روى هذا البيت صاحب منتهى الطلب. الحمة: الحمى والحمة الشدة أيضاً.

(٣٤) الخلة: الخليل. يطلب من خليله أن يعوده إذا مرض. ذو البريقين: موضع. العدوة: المرة من العدو يريد أن سرعة عدوه سلاح يشتفي به كراً وفراً.

٣٥ ـ وإنّي لَحُلْوٌ إنْ أُرِيدَتْ حَلاَوَتِي ۞ وَمُرٌّ إذَا نَفْسُ الْعَزُوفِ اسْتَمَرَّتِ

٣٦ ـ أَبِيٌّ لِمَا آبي سَرِيعٌ مَبَاءَتِي ۞ إلى كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحِي في مَسَرَّتِي

---

(٣٥) العزوف: المنصرف عن الشيء. استمرت: استحلت من المرارة. يقول: أنا سهل لمن ساهلني، مر على من عاداني.

(٣٦) المباءة: الرجوع. تنتحي في مسرتي: تقصد إلى ما يسرني.

ـ ٣ ـ

قتلت حزاما(*)

لما ترعرع الشنفرى جعل يغير على الأزد مع فهم: فيقتل من أدرك منهم، ثم قدم منى وبها حزام بن جابر، فقيل له: هذا قاتل أبيك. فشد عليه فقتله، ثم سبق الناس على رجليه فقال:

[الطويل]

١ ـ قَتَلْتُ حِزَاماً مُهْدِياً بِمُلَبَّدٍ ... بِبَطْنِ مِنًى وَسْطَ الحَجِيجِ المُصَوِّتِ

المحصب

(*) الأغاني، طبعة الهيئة المصرية العامة ٢١: ١٨٤.

(١) مهدياً: مقدماً الهدي في الحج. الملبد: مكان التلبد. وكان من عاداتهم في الحج أن يدهنوا شعورهم بشيء من الصمغ لتتلبد. المصوت: الذي يجهر بالدعاء ونحوه. المحصب: الذي يرمي الجمار.

ـ ٤ ـ

ومستبسل(*)

[الرجز]

١ ـ وَمُسْتَبْسِلَ ضَافِي الْقَمِيصِ ضَمَمْتُهُ ... بِأَزْرَقَ لاَ نِكْسٍ وَلاَ مُتَعَوِّجِ

ضغته

٢ ـ عَلَيْهِ نَسَارِيٌّ عَلَى خُوطِ نَبْعَةٍ ... وَفُوقٍ كَعُرْقُوبِ الْقَطَاةِ مُدَحْرَجِ

محدرج

٣ ـ وَقَارَبْتُ مِنْ كَفَّيَّ ثُمَّ نَزَعْتُهَا ... بِنَزْعٍ إِذَا مَا اسْتُكْرِهَ النَّزْعُ مُخْلِجِ

فرجتها ... مخلج

٤ ـ فَصَاحَتْ بِكَفَّيَّ صيحة ثُمَّ رَاجَعَتْ ... أَنِينَ الْمَرِيضِ ذِي الْجِرَاحِ الْمُشَجَّجِ

رجعت ... الأميم

(*) الأغاني ٢١: ١٤١ (دار الثقافة)، وطبعة الهيئة العامة ٢١: ١٩٢.

(١) ضافي: واسع. بأزرق أي بنصل أزرق: شديد الصفاء. نكس: السهم الذي ينكسر فُوقه فيجعل أعلاه أسفله، أو هو الرجل الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه. متعوّج: معوجّ (الفوق: رأس السهم).

(٢) نساري: من ريش النسر. خوط: جمعها خيطان، الغصن الناعم أو كل قضيب. النبعة: شجرة يستعمل خشبها للقوس. فوق: رأس السهم حيث يقع الوتر. العرقوب المفصل في الرجل. القطاة: طائر في حجم الحمام يعيش في الصحراء خصوصاً.

(٣) نزع السهم: رمى به ونزع عن القوس: رمى عنها. خلَج: فتل.

(٤) المشجج: المحطم الرأس.

ـ ٥ ـ

فلا يغررك مني تمكثي(*)

ذكر أن رجلاً من بني سلامان أنكح الشنفرى ابنته فسار بها إلى قومه فشدت بنو سلامان على الرجل فقتلوه، فلما بلغه ذلك سكت ولم يظهر جزعاً عليه، وطفق يصنع النبل، ويجعل أفواقها من القرون والعظام، ثم إن امرأته بنت السلاماني قالت له ذات يوم: لقد خسئت بميثاق أبي عليك، فقال:

[الطويل]

١ ـ كَأَنْ قَدْ فَلاَ يَغْرُرْكَ مِنِّي تَمَكُّثِي ... سَلَكْتُ طَرِيقاً بَيْنَ يَرْبَغَ فَالسَّرْدِ

٢ ـ وَإِنِّي زَعِيمٌ أَن تَلُفَّ عَجَاجَتِي ... عَلَى ذِي كِسَاءٍ مِنْ سَلاَمَانَ أَوْ بُرْدِ

لأهوى أن ألف(أ)

٣ ـ هُمُ عَرَفُونِي نَاشِئاً ذَا مَخِيلَةٍ ... أُمَشِّي خِلاَلَ الدَّارِ كَالأَسَدِ الْوَرْدِ

٤ ـ كَأَنِّي إِذَا لَمْ أُمْسِ فِي دَارِ خَالِدٍ ... بِتَيْمَاءَ لاَ أُهْدَى سَبِيلاً وَلاَ أُهْدِي

يمس في الحي مالك(أ)

(*) انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٣: ٢٠٩ مادة سرد. والأغاني ٢١: ١٩٣.

(١) تمكث بالمكان: توقف. يربغ والسرد موضعان بعينهما.

(٢) زعيم: كفيل. العجاجة: الجمال الكثيرة العظيمة. سلامان: بنو سلامان حي بعينه نقم عليهم الشاعر. البرد: ثوب مخطط يلتحف به. ويقال: فلان يلف عجاجته على بني فلان أي يغير عليهم.

(أ) اللسان ٢: ٣٢٠ مادة عجج.

(ب) الاغاني ٢١: ١٩٣.

(٣) المخيلة : من خال يخال أي تكبر. الورد: الشجاع.

(٤) تيماء: موضع بالشام. (أ) الأغاني ٢١: ١٩٣.

ـ ٦ ـ

وإنـي لأهوى[٥]

بعد أن عرف الشنفرى الحقيقة وأقسم أن يقتل من بني سلامان مئة، طفق يغير على الأزد على رجليه فيمن تبعه من فهم، وكان يغير وحده أكثر من ذلك، فقال لبني سلامان:

الطويل

١ ـ وَإِنِّي لأَهْوَى أَنْ أَلُفَّ عَجَاجَتِي ... عَلَى ذِي كِسَاء مِنْ سَلاَمَانَ أَوْ بُرْدِ

٢ ـ وَأُصْبِحَ بِالْعَضْدَاءِ أَبْغِي سَرَاتَهُمْ ... وَأَسْلُكَ خَلاً بَيْنَ أَرْبَاغ[أ] وَالسَّرْدِ

أرباع[أ]

(٥) انظر الأغاني. طبعة الهيئة المصرية العامة ٢١: ١٨٠ ولسان العرب ٨: ٤٢٦ مادة ربغ.

(١) العجاجة: غبار الحرب. ولف العجاجة كناية عن الغارة.

(٢) العضداء: مكان بعينه. وفي معجم البلدان: العضدية ماء غربي فيد في طريق الحاج إلى مكة (معجم البلدان ٤: ١٢٩). سراتهم: أعلاهم. الخل: الصديق. أرباغ والسرد موضعان في بلاد الأزد. أسلك خلاً. جعله يسلك. أرباع: مكان معين.

(أ) لسان العرب ٨: ٤٢٦ .

ـ ٧ ـ

ونائحة(*)

[الطويل]

١ ـ وَنَائِحَةٍ أَوْحَيْتُ فِي الصُّبْحِ سَمْعَهَا ... فَرِيعَ فُؤَادِي وَاشْمَأَزَّ وَأَنْكَرَا

٢ ـ فَخَفَّضْتُ جَأْشِي ثُمَّ قُلْتُ حَمَامَةٌ ... دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ فِي حَمَامٍ تَنَفَّرَا

٣ ـ وَمَقْرُونَةٍ شِمَالُهَا بِيَمِينِهَا ... أُجَنِّبُ بَزِّي مَاؤُهَا قَدْ تَقَصَّرَا

٤ ـ وَنَعْلٍ كَأَشْلاَءِ السُّمَانَى تَرَكْتُهَا ... عَلَى جَنْبِ مَوْرٍ كَالنَّحِيزَةِ أَغْبَرَا

٥ ـ فَإِنْ لاَ تَزُرْنِي حَتْفَتِي أَوْ تُلاَقِنِي ... أَمَشِّي بِدَهْوٍ أَوْ عِدَافٍ بَنَوَّرَا

فإلا(أ) ... عذاف فنورا(ب)

٦ ـ أُمَشِّي بِأَطْرَافِ الْحَمَاطِ وَتَارَةً ... تُنَفِّضُ رِجْلِي بُسْبُطاً فَعَصَنْصَرا

مسبطياً(أ)

(*) موسوعة الشعر العربي ١: ٨٦. والأغاني طبعة الهيئة العامة ٢١: ١٨٠ بدءاً من البيت الخامس.

(١) النائحة: الباكية. أوحت نفسه: أصابها خوف.

(٢) الجأش: القلب والنفس يقال هو رابط الجأش أي شجاع ثابت. تنفر: ارتحل.

(٣) مقرونة: قربة ربط رأسها بذيلها أو جانب منها بجانب آخر. بزي: ثيابي.

(٤) السماني: نوع من الطيور القواطع التي ترحل من مكان إلى مكان. المور: الطريق المستوي الموطوء أي الذي يتردّد الناس فيه. النحيزة: الطريق الخشن.

(٥) دهو: موضع بعينه وعداف: موضع. وبنور: موضع.

(أ) و (ب) الأغاني ٢٠: ١٨٠.

(٦) الحماط: ضرب من النبت. البسيط: ضرب من النبات. العصنصر: نوع من النبات.

(أ) معجم البلدان لياقوت ٥: ٢٠٨.

٧ ـ أُبَغِّي بَنِي صَعْبِ بنِ مُرٍّ بِلاَدَهُمْ وَسَوْفَ أُلاقِيهِم إنْ اللّهُ أَخَّرَا

بِخُرٍّ ديارهم[أ] يسرا[ب]

٨ ـ وَيَوماً بِذَاتِ الرَّسِّ أَوْ بَطْنِ مِنْجَلٍ هُنَالِكَ نَبْغي القَاصِيَ المُتَغَوِّرَا

ويوم[أ] الرأس[ب] تلقى[ج] العاصر المتنورا[د]

---

(٧) بنو صعب بن مر: حي بعينه.

(أ) و (ب) انظر معجم البلدان لياقوت ٥: ٢٠٨.

(ب) الأغاني ٢٠: ١٨١.

(٨) ذات الرس: اسم مكان. بطن منجل: موضع. المتغور: الذي أتى الغور والغور ما انخفض من الأرض.

(أ) و (د) معجم البلدان ٥: ٢٠٨.

(ب) و (ج) الأغاني ٢٠: ١٨١.

ـ ٨ ـ

لا تقبروني(٭)

ـ قيل للشنفرى حين أسر أنشد، فقال: الإنشاد على حين المسرة ثم قال:

[الطويل]

١ ـ فَلاَ تَـقْـبُـرُونـي إِنَّ قَبْرِي مُـحَـرَّمٌ ... عَلَـيْـكُـمْ وَلَـكِـنْ أَبْـشِـرِي أُمَّ عَـامِـرِ

تدفنوني   إن دفني[أ]   خامري[ب]

٢ ـ إِذَا احْتَمَلُوا رَأْسِي وَفِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي ... وَغُـودِرَ عِـنْـدَ الْـمُـلْـتَـقَـى ثَـمَّ سَائِرِي

حملوا[أ]

٣ ـ هُـنَـالِـكَ لاَ أَرْجُـو حَـيَـاةً تَـسُـرُّنِـي ... سَـجِـيسَ اللَّـيَـالِي مُبْسَلاً بِالْـجَـرَائِرِ

سمير[أ]

(٭) انظر ديوان الحماسة لأبي تمام ١: ١٨٨ والشعر والشعراء لابن قتيبة ١: ٢٥.

(١) أم عامر: كنية الضبع. أبشري أم عامر: يقصد اتركوني يأكلني الضبع.

(أ) و (ب) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ١: ٢٥.

(٢) في الرأس أكثري: جعل في الرأس أكثره لأن الرأس مسكن الدماغ ومأوى الحواس. وغودر عند الملتقى: أي تركوا باقي بدني في المعركة.

(٣) سجيس الليالي: أي أبداً. المبسل: المسلم. الجرائر: الجرائم.

(أ) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٥ ولسان العرب لابن منظور ٤: ٣٧٧.

ـ ٩ ـ

قتيلي فجار(*)

طفق الشنفرى يغير على بني سلامان بن مفرج ويقتل منهم ويفر، ومرّ، مرة، وهو هارب، بقرية يقال لها دحيس، برجلين من بني سلامان بن مفرج فأرادهما ثم خشي الطلب فقال:

[طويل]

١ ـ قَتِيلَيْ فِجَارٍ أَنْتُمَا إِنْ قُتِلْتُمَا بِجَوْفِ دَحِيس أَوْ تَبَالَةَ يَا اسْمَعَا

(*) انظر الأغاني، طبعة الهيئة المصرية العامة ٢١: ١٨٠.

(١) الجوف: الوادي: دحيس وتبالة موضعان. يا اسمعا: يريد يا هذان اسمعا. فجار: الطريق الواسعة الواضحة بين جبلين. والفجار: ارتكاب الفجور يقصد إن قتلتما فذلك من جراء فجور قومكما.

ـ ١٠ ـ

ليس لوالدة(*)

قتلت الأزد الحارث بن السائب الفهمي، فأبوا أن يقرّوا بقتله، وقرّ رجل منهم بقتله، يقال له حزام بن جابر، قَبِلَ ذلك، فمات أخو الشنفرى، فأنشأت أمه تبكيه. فقال الشنفرى، وكان أول ما قاله من الشعر.

[المتقارب]

١ ـ لَيْسَ لِوَالِدَةٍ هَوْؤُهَا وَلاَ قَوْلُهَا لابْنِهَا دَعْدَعِ

٢ ـ تُطِيفُ وَتُحْدِثُ أَحْوَالَهُ وَغَيْرُكِ أَمْلَكُ بِالمَصْرَعِ

(*) انظر الأغاني. طبعة الهيئة العامة المصرية ٢١: ١٨٤.

(١) الهوء: الهمة والرأي. دعدع: أمر من دعدع بمعنى جرى يقصد ليس للأم أن تفكر في ثأر ابنها أو أن تأمر أخاه بالسعي في ذلك.

(٢) وغيرك أملك بالمصرع يقصد: كفي عن هذا فغيرك أدرى بمصارع الرجال. وتطيف: تأتيه في النوم. وتطيف لغة في تطوف.

ـ ١١ ـ

ومرقبة عنقاء(*)

[الطويل]

١ ـ وَمَرْقَبةٍ عَنْقَاءَ يَقْصُرُ دُونَهَا ... أَخُو الضُّرْوَةِ الرِجْلُ الحَفِيُّ الْمُخَفَّفُ

٢ ـ نَعَبْتُ إِلَى أَدْنَى ذُرَاهَا وَقَدْ دَنَا ... مِنَ اللَّيْلِ مُلْتَفُّ الْحَدِيقَةِ أَسْدَفُ

نميت(أ) أعلى(ب)

٣ ـ فَبِتُّ عَلَى حَدِّ الذِّرَاعَيْنِ مُجْذِياً ... كَمَا يَتَطَوَّى الأَرْقَمُ الْمُتَعَطِّفُ

أحدبا(أ)

٤ ـ وَلَيْسَ جِهَازِي غَيْرُ نَعْلَيْنِ أُسْحِقَتْ ... صُدُورُهُا مَخْصُورَةً لاَ تُخَصَّفُ

قليل(أ)

(*) الأغاني ٢٠: ١٨٩ وموسوعة الشعر العربي ١: ٨٨.

(١) المرقبة: الموضع العالي المنيع يتخذ للرصد. العنقاء: الطويلة العنق. أخو الضروة: الصياد الذي يكون معه كلاب ضراها أي عودها على الصيد. الحفي: العالم بالشيء علماً عميقاً والحفي أيضاً الملحاح. المخفف: النحيل.

(٢) نعبت: رفعت رأسي وأسرعت. نميت: ارتفعت إليها. أسدف: مظلم.

(أ) و (ب) الأغاني ٢٠: ١٨٩.

(٣) مجذياً: ثابتاً قائماً. الأرقم: ذكر الحيات أو أخبثها.

(أ) الأغاني ٢٠: ١٩٠.

(٤) أسحقت: بليت. مخصورة أي أصيبت خاصرتها. لا تخصف أي لا تخرز بالمخصف، والمخصف مخرز الإسكاف.

(أ) الأغاني ٢٠: ١٩٠.

٥ ـ وَضُنِّيَّةٍ جُرْدٍ وَأَخْلاقِ رَيْطَةٍ إِذَا أَنْهَجَتْ مِنْ جَانِبٍ لاَ تُكَفَّفُ

وملحفة درس وجرد ملاءة[أ]

٦ ـ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهَنَّدٌ مُجِدٌّ لأَطْرَافِ السَّوَاعِدِ مِقْطَفُ

٧ ـ وَحَمْرَاءُ مِنْ نَبْعٍ أَبِيٍّ ظَهِيرَةٌ تَرِنُّ كَإِرْنَانِ الشَّجِيِّ وَتَهْتِفُ

وصفراء[أ]

٨ ـ إِذَا آلَ فِيهَا النَّزْعُ تَأْبَى بِعَجزِهَا وَتَرْمِي بِذَرْوَيْهَا بِهِنَّ فَتَقْذِفُ

طال بعجسها[ب]

٩ ـ كَأَنَّ حَفِيفَ النَّبْلِ مِنْ فَوْقِ عَجْزِهَا غَوَارِبُ نَحْلٍ أَخْطَأَ الْغَارَ مُطْنِفُ

عجسها[أ] عوازب[ب]

١٠ ـ نَأَتْ أُمُّ قَيْسٍ الْمَرْبَعَيْنِ كِلَيْهِمَا وَتَحْذَرُ أَنْ يَنْأَى بِهَا الْمُتَصَيِّفُ

---

(٥) الضنية: المريضة التي طال مرضها ويقصد بها هنا ثيابه البالية. أخلاق: جمع خلق وهو البالي المهترىء. الريطة: ثوب رقيق يشبه الملحفة، والريطة كل ملاءة من نسج واحد وقطعة واحدة. أنهج: بلي واهترأ. تكفف: تخاط حاشيتها.

(أ) الأغاني ٢٠: ١٩٠.

(٦) الأبيض: السيف. مجذ: قاطع. المقطف في الأصل المنجل الذي يقطف به.

(٧) الحمراء: القوس الشديدة. النبع: ضرب من الشجر تتخذ منه الأقواس. ظهيرة: قوية. الشجي: الحزين. تهتف: تصيح.

(أ) الأغاني ٢٠: ١٩٠.

(٨) آل: رجع. النزع: رمي النبال. العجز: مقبض القوس. ذرواها: طرفاها.

(أ) و(ب) الأغاني ٢٠: ١٩٠.

(٩) غوارب من غرب: ابتعد وتنحى وعوازب من عزب: بعد وغاب. الطنف ما برز من الجبل والمطنف: الذي يعلوه. العجس: مقبض القوس.

(أ) و(ب) انظر لسان العرب لابن منظور ٩: ٢٢٤ مادة طنف. والأغاني ٢٠: ١٩٠.

(١٠) نأت: بعدت. أم قيس: امرأة بعينها. المربع المكان الذي يقام فيه فصل الربيع. المتصيف: يقصد المربع الذي تصيف به.

١١ ـ وَإِنَّكِ لَوْ تَدْرِينَ أَنْ رُبَّ مَشْرَبٍ   مَخُوفٍ كَدَاءِ الْبَطْنِ أَوْ هُوَ أَخْوَفُ

١٢ ـ وَرَدْتُ بِمَأْثُورٍ يَمَانٍ وَضَالَّةٍ   تَخَيَّرْتُهَا مِمَّا أُرِيشُ وَأَرْصُفُ

ونبل(ب)

١٣ ـ أَرَكِّبُهَا فِي كُلِّ أَحْمَرَ غَاثِرٍ   وَأَنْسِجُ لِلْوِلْدَانِ مَا هُوَ مُقْرِفُ

عاثر   وأقذف منهن   الذي(٢)

١٤ ـ وَتَابَعْتُ فِيهِ الْبَرْيَ حَتَّى تَرَكْتُهُ   يَرِنُّ إِذَا أَنْزَفْتُهُ وَيُزَفْزِفُ

أنفذته

١٥ ـ بِكَفِّي مِنْهَا لِلْبَغِيضِ عُرَاضَةٌ   إِذَا بِعْتُ خُلاًّ مَالَهُ مُتَعَوِّفُ

حلا   متخوف(أ)

١٦ ـ وَوَادٍ بَعِيدِ الْعُمْقِ ضَنْكٍ جُمَاعُهُ   بَوَاطِنُهُ لِلْجِنِّ وَالأُسْدِ مَأْلَفُ

مجازه

---

(١١) المشرب: موضع الشرب. والوجه الذي يشرب منه.

(١٢) المأثور: السيف ذو الأثر. الضالة: السهام. أريش: ألزق عليه الريش. أرصف: مزج شرابه بماء الرصف وهو الماء المنحدر من الجبال على الصخر.

(أ) الأغاني ٢٠: ١٩١.

(١٣) الغاثر الذي بلون الغبار. أحمر: لعله يقصد به السهم أو نصل السهم. المقرف: الذي لونه يضرب إلى الحمرة. الولدان جمع الوليد وهو العبد والخادم الشاب.

(أ) الأغاني ٢٠: ١٩١.

(١٤) أنزف البئر: استخرج ماءها كله وأنزف هنا بمعنى انتهى منه. زفزف الطائر: بسط جناحيه وزفزفت الريح: صوتت. فزفزف السهم طار بصوت.

(١٥) العراضة: الهدية. الخل: الصديق.

(أ) الأغاني ٢٠: ١٩١.

(١٦) الضنك: الضيق.

١٧ ـ تَعَسَّفْتُ مِنْهُ بَعْدَمَا سَقَطَ النَّدَى غَمَالِيلَ يَخْشَى عَيلَهَا الْمُتَعَسِّفُ

غيلها[أ]

١٨ ـ وَآبَ إِذَا أَجْرَى الْـجَـبَانُ وَظَـنُّـهُ فَلِي حَيْثُ يَخْشَى أَن يُجَاوِزَ مِخْشَفُ

وإني إذا خام ... عن الردى[أ]

١٩ ـ وَإِنَّ امْرَأً قَدْ جَارَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ عَـلَـيَّ وَأَثْـوَابِ الأُقَـيْـصَـرِ يَـعْـنُـفُ

أجار[أ] عمراً ورهطه[ب] تعنف[ج]

---

(١٧) تعسف: ركب الشيء على غير هداية، وواجه الشيء بلا تفكير أو تدبير. الغماليل: الروابي. العيل: القفر.

(أ) الأغاني ٢٠: ١٩١.

(١٨) آب: رجع. المخشف: الأسد أو الجوّال في الليل.

(أ) الأغاني ٢٠: ١٩١.

(١٩) جار: طلب أن يجار ويغاث. الأقيصر: صنم. يعنف: يكون شديداً ولا يرفق به.

(أ) الأغاني ٢٠: ١٩١.

(ب) و(ج) انظر معجم البلدان لياقوت ١: ٢٣٨. مادة الأقيصر.

ـ ١٢ ـ

ألا هل أتى عنا سعاد(*)

[الطويل]

١ ـ ألاَ هَلْ أَتَى عَنَّا سُعَادَ وَدُونَهَا ... مَهَامِهُ بِيدٍ تَعْتَلِي بِالصَّعَالِكِ

٢ ـ بِأَنَّا صَبَحْنَا القَوْمَ فِي حُرِّ دَارِهِمْ ... حِمَامَ المَنَايَا بِالسُّيُوفِ البَوَاتِكِ

عقر

وسط

٣ ـ قَتَلْنَا بِعَمْرٍو مِنْهُمُ خَيْرَ فَارِسٍ ... يَزِيدَ وَسَعْداً وابنَ عَوْفٍ بِمَالِكِ

٤ ـ ظَلَلْنَا نُفَرِّي بِالسُّيُوفِ رُؤُوسَهُمْ ... وَنَرْشُقُهُمْ بِالنَّبْلِ بَيْنَ الدَّكَادِكِ

(*) انظر الأغاني (طبعة الهيئة المصرية العامة) ٢١: ١٦٢.

(١) مهامه جمع مهمه وهو المفازة البعيدة أو البلد القفر. بيد: جمع بيداء وهي الصحراء.

(٢) صبح القوم: هجم عليهم صباحاً. حر الدار: وسطها. البواتك: القواطع.

(٣) يقصد أنهم ثأروا لعمرو بقتل يزيد وسعد، وثأروا لمالك بقتل ابن عوف.

(٤) نفري: نشق. الدكادك جمع الدكدك وهو ما غلظ من الأرض

ـ ١٣ ـ

لامية العرب(*)

[الطويل]

١ ـ أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ ... فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لأَمْيَلُ

لبني ... أهل

٢ ـ فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ واللَّيْلُ مُقْمِرٌ ... وَشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

٣ ـ وَفِي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى ... وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ

متحول

٤ ـ لَعَمْرُكَ ما في الأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِىءٍ ... سَرَى رَاغِباً أَوْ رَاهِباً وَهْوَ يَعْقِلُ

بالأرض

٥ ـ وَلِي دُونَكُم أَهْلُونَ سِيْدٌ عَمَلَّسٌ ... وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

(*) انظر لامية العرب شرح وتحقيق د. محمد بديع شريف. ص ٢٧ وما بعدها. والأمالي ٣: ٢٠٣ ـ ٢٠٥.

(١) يقال أقام صدر مطيته إذا سار وتوجه. مطيكم جمع مطية وهي الناقة. أميل: أشد ميلاً

(٢) حمت: تهيأت وحضرت. شدت: قويت. الطية: الحاجة. ويقال مضى لطيته أي لحاجته. الأرحل: جمع الرحل

(٣) المنأى: الموضع البعيد. القلى: البغض. متعزل: الموضع الذي يعتزل فيه

(٤) لعمرك: أي وحياتك. راهباً: خائفاً.

(٥) السيد: الذئب. العملس: الخفيف السريع. أرقط: ذو لونين مختلفين ويريد به هنا النمر. الزهلول: الأملس. العرفاء: الضبع الطويلة العرف. الجيأل: الضخم.

٦ ـ هُمُ الرَّهْطُ لاَ مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

الأهل (شائع)

(عندهم مضاع)

٧ ـ وَكُلُّ أَبِيٍّ باسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي إِذَا عَرَضَتْ أُوْلَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ

أعرضت إحدى

٨ ـ وَإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

٩ ـ وَمَا ذَاكَ إِلاَّ بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ الْمُتَفَضِّلُ

١٠ ـ وَإِنِّي كَفَانِي فَقْدُ مَنْ لَيْسَ جَازِياً بِحُسْنَى وَلاَ فِي قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ

لست بنعمى

١١ ـ ثَلاَثَةُ أَصْحَابٍ: فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

١٢ ـ هَتُوفٌ مِنَ الْمُلْسِ الْمُتُونِ يَزِينُها رَصَائِعُ قَدْ نِيطَتْ إِلَيْهَا وَمِحْمَلُ

١٣ ـ إِذَا زَلَّ عنها السَّهْمُ حَنَّتْ كَأَنَّها مُرَزَّأَةٌ عَجْلَى تُرِنُّ وَتُعْوِلُ

أنّتْ

---

(٦) الرهط: الجماعة إلى العشرة والرهط قوم الرجل وقبيلته. الذائع: الفاشي. جر جريرة: جنى جناية.

(٧) أبي: الحمي الأنف الذي لا يقر على الضيم. الباسل: الشجاع. الطرائد: جمع الطريدة وهي ما طردت من صيد وغيره والمراد بها الفرسان المهاجمة.

(٨) الجشع: الحرص.

(٩) البسطة: السعة. التفضل: الإحسان. المتفضل: الذي يدعي الفضل على أقرانه.

(١٠) الجازي بالحسنى: الذي يعمل الخير. التعلل: التلهي.

(١١) المشيع: المقدام الشجاع. الإصليت: السيف الصقيل المجرد من غمده. الصفراء: قوس نبع. العيطل: القوية الطويلة العنق.

(١٢) الهتوف: التي تصوّت وقوس هتفى: قوس ذات صوت. المتون: الظهور، والمتون: الصلبة. الرصائع: خرز يعلق على الشيء لئلا تصيبه العين. وقد يراد بها ما يرصع من جوهر وغيره. نيطت: علقت. المحمل: علاقة السيف وهو السير الذي يتقلد به.

(١٣) زل: خرج. حنت: صوتت والحنين صوت الوتر. المرزأة: الكثيرة الرازيا. والرزايا جمع الرزية والرزيئة وهي المصيبة الشديدة. ترن: تصوت. تعول: ترفع صوتها بالبكاء.

١٤ ـ وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّي سَوَامَهُ   مُجَدَّعَةً سُقْبَانُها وَهْيَ بُهَّلُ

١٥ ـ وَلاَ جُبَّاءَ أَكْهَى مُرِبٌّ بِعِرْسِهِ   يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ

أمره   فعل

١٦ ـ وَلاَ خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤادَهُ   يَظَلُّ بِهِ الْمُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفِلُ

١٧ ـ وَلاَ خَالِفٍ دَارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ   يَروحُ وَيَغْدُو دَاهِناً يَتَكَحَّلُ

١٨ ـ وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُوْنَ خَيْرِهِ   أَلَفَّ إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ

بغل

١٩ ـ وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلاَمِ إِذَا انْتَحَتْ   هُدَى الْهَوْجَلِ العِسِّيفِ يَهْمَاءُ هَوْجَلُ

امتحت

أنحت

---

(١٤) المهياف: الذي يبعد بإبله في طلب المرعى على غير علم فيعطشها ويمشي بها. والمهياف: السريع العطش. يعشي: يرعى ليلاً. السوام: جمع السائمة وهي التي ترسل لترعى. ويقصد بالسوام الإبل. المجدعة: السيئة الغذاء. السقب: الذكر من ولد الناقة: البهّل: المُخلاَّة المتروكة.

(١٥) الجبأ: الجبان. الأكهى: الكدر الأخلاق. المرب: المقيم على امرأته لا يفارقها.

(١٦) الخرق: الدهش من الخوف أو الحياء. الهيق: الظليم وهو ولد النعامة. المكاء: طائر له صفير حسن وتصعيد وهبوط في الجو.

(١٧) الخالف: المتخلف عن الخير أو الذي لا خير فيه. الدارية: الذي لا يفارق داره. والداري: العطار. المتغزل: الذي يحادث النساء ويراودهن. الداهن: الذي يدهن نفسه بالطيب. المتكحل: الذي يكحل عينيه.

(١٨) العل: الرجل المسن الصغير الجسم. الألف: الذي لا يقوم لحرب ولا لضيف إنما يلتف وينام. رعته: أفزعته. اهتاج: أسرع من الخوف إسراعاً بحمق. الأعزل: الذي لا رمح معه ولا سلاح. والغل: المقيد.

(١٩) المحيار: المتحير. انتحت: اعترضت. أنحت: قصدت. الهوجل: الرجل الطويل المتسرع الأحمق. والهوجل: آخر الفلاة. ومن الأرض الشديد المسلك. العسيف: الآخذ على غير الطريق. اليهماء: الفلاة التي لا يهتدى فيها.

٢٠ ـ إِذَا الأَمْعَزُ الصَّوَّانُ لاقَى مَنَاسِمِي تَـطَـايَـرَ مِـنْـهُ قَـادِحٌ وَمُـفَـلَّـلُ

٢١ ـ أُدِيمُ مِطَالَ الْجُوعِ حَتَّى أُمِيتَهُ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فَأَذْهَلُ

أطيل

٢٢ ـ وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلاَ يُرَى لَهُ عَلَـيَّ مِـنَ الـطَّـوْلِ امْـرؤ مُـتَـطَـوِّلُ

٢٣ ـ وَلَوْلاَ اجْتِنَابُ الذَّأْمِ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ يُـعَـاشُ بِـهِ إلاَّ لَـدَيَّ وَمَـأْكَـلُ

الضيم

٢٤ ـ وَلَكِنَّ نَفْساً مُرَّةً لاَ تُقِيمُ بِي عَلَـى الـذَّأْمِ إلاَّ رَيْـثَـمَـا أَتَـحَـوَّلُ

حرة

٢٥ ـ وَاطوِي عَلَى الْخُمْصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ خُـيُـوطَـةُ مَـارِيٍّ تُـغَـارُ وَتُـفْـتَـلُ

الجوع

٢٦ ـ وَأَغْدُو عَلَى الْقُوتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَـهَـادَاهُ الـتَّـنَائِـفُ أَطْـحَـلُ

وأعدو الزاد

---

(٢٠) الأمعز: المكان الصلب الكثير الحصى. الصوان: الحجارة الملس. المنسم: خف البعير استعاره الشاعر لنفسه. القادح: ما يخرج معه النار من الحصى. المفلل: المكسر.

(٢١) المطال: مأخوذ من المماطلة. أضرب عنه صفحاً: أعرض عنه وأتركه. أذهل: أنساه وأنشغل عنه.

(٢٢) يقال سفت الإبل إذا رعت العشب اليابس. واستف هنا أي التهم التراب. الطول: المن والتمنن. المتطول: الممتن.

(٢٣) الذأم: العيب والتحقير. لم يلفَ: لم يوجد.

(٢٤) المرة: الأبية. ريثما: قدر ما.

(٢٥) الخمص: الجوع. الحوايا جمع الحوية، وهي ما تحوى في البطن إذا اجتمع واستدار. الماري: الفاتل. تغار: يحكم فتلها.

(٢٦) أغدو: أذهب صباحاً. الزهيد: القليل. الأزلّ: الذئب الأرسح الذي لا أست له. تهاداه: أي كلما خرج من مفازة تهديه المفازة لأخرى. التنائف: الأرض القفار. أطحل: لونه كلون الطحال.

٢٧ ـ غَدَا طَاوِياً يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِياً   يَخُوتُ بأَذْنَابِ الشِّعَابِ وَيَعْسِلُ

يستعرض

٢٨ ـ فَلَمَّا لَوَاهُ الْقُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ   دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ

٢٩ ـ مُهَلْهَلَةٌ شِيبُ الْوُجُوهِ كَأَنَّهَا   قِدَاحٌ بِكَفَّيْ يَاسِرٍ تَتَقَلْقَلُ

مهللة

٣٠ ـ أَوِ الخَشْرَمُ الْمَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ   مَحَابِيضُ أَرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ

أرساهن شار[أ]

٣١ ـ مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كأن شُدُوقَها   شُقُوقُ العِصِيِّ كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ

عصي

٣٢ ـ فَضَجَّ وضَجَّتْ بِالْبَرَاحِ كَأَنَّهَا   وَإِيَّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ

---

(٢٧) الطاوي: الجائع. هافياً مسرعاً متمايلاً يميناً وشمالاً من شدة الجوع. يخوت: ينقض ويختطف. الشعب: الطريق في الجبل. الأذناب: الأواخر. يعسل: يمر مراً سهلاً في استقامة.

(٢٨) لواه: دفعه وصرفه عن أمره. أمّه: قصده. النظائر: الأشباه والأمثال. نحل: ضوامر.

(٢٩) مهلهلة: رقيقة النسج والمعنى هنا رقيقة اللحم أي ضعيفة. والمهللة: الدقيقة الجسم كأنها أهِلَّة في الدقة. شيب الوجوه: بيضاء الوجوه. القداح: جمع القدح وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله. الياسر: المقامر. تتقلقل: تتحرك وتضطرب.

(٣٠) الخشرم: رئيس النحل أو النحل. حثحث حرّك مثل حث، وحض وطلب منه الإسراع. دبره: جماعته من النحل. المحابيض جمع المحبض وهو العود الذي يكون مع مشتار العسل يثير به النحل. أرداهن: جاء بهن. سام: السامي الذي يعلو ويرتفع لاشتيار العسل المبعوث الذي ابنعث في السير.

(أ) انظر لسان العرب لابن منظور ٧: ١٣٣ مادة حبض.

(٣١) مهرتة: مشقوقة الفم شقاً واسعاً. فوه جمع فوهاء أي واسعة الفم. شدوق جمع شدق وهو جانب الفم. كالحات: مكشرات عابسات. بسل: كريهة المرأى.

(٣٢) ضج: صاح من الجزع. البراح: الأرض الواسعة لا نبت فيها. النوح: جمع النائحة. العلياء: البقعة المشرفة. ثكل: جمع ثاكل وهي التي فقدت زوجها أو أولادها.

٣٣ ـ وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَاتَّسَى وَاتَّسَتْ بِهِ ... مَرَامِيلُ عَزَّاهَا وَعَزَّتْهُ مُرْمِلُ

فأغضى

٣٤ ـ شَكَا وشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وارْعَوَتْ ... وَلَلصَّبْرُ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أَجْمَلُ

وللوجد

٣٥ ـ وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادراتٌ وَكُلُّهَا ... عَلَى نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ

باديات

٣٦ ـ وَتَشْرِبُ أَسْآرِي القطا الكُدْرُ بَعْدَمَا ... سَرَتْ قَرَباً أَحْنَاؤُهَا تَتَصَلْصَلُ

أحشاؤها

٣٧ ـ هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وَأَسْدَلَتْ ... وشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ

وقصرت

٣٨ ـ فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهْيَ تَكْبُو لِعَقْرِهِ ... يُبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ

أرجل

---

(٣٣) أغضت: أدنت جفونها بعضها من بعض. اتسى: اقتدى أي حال كل واحد من هذه الذئاب كحال الآخر. مراميل: جمع مرمل وهو من نفد زاده.

(٣٤) شكا: بث حزنه. ارعوى: ترك.

(٣٥) فاء: رجع. بادرات: مسرعات. النكظ: شدة الجوع. يكاتم: يكتم أي لا يظهر ماعنده.

(٣٦) أساري جمع السؤر وهو البقية من الشراب في الإناء. القطا: جمع القطاة وهي طائر في حجم الحمام يعيش في الصحراء. القرب: ورود الماء. أحناؤها: جوانبها. تتصلصل: تصوت ليبسها.

(٣٧) هممت: عزمت. ابتدر: أسرع. أسدل: أرخى. شمر: رفع أي ضد أسدل. فارط: متقدم. متمهل: يأتي أمره على تؤدة.

(٣٨) وليت عنها: انصرفت عنها. تكبو: تسقط. العقر: مكان الساقي من الحوض ويكون فيه ما يتساقط من الدلو. الذقن: ما تحت الحلقوم. حوصل جمع حوصلة وهي العضو الذي يتجمع فيه طعام الطير بعد التقاطه.

٣٩ ـ كَأَنَّ وَغَاهَا حَجْرَتَيْهِ وَحَوْلَهُ أَضَامِيمُ مِنْ سِفْرِ الْقَبَائِلِ نُزَّلُ

ركب

٤٠ ـ تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ الأَصَارِيمِ مَنْهَلُ

فوافين اليها

٤١ ـ فَعَبَّتْ غِشَاشاً ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّها مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاضَةَ مُجْفِلُ

فعنت

٤٢ ـ وَآلَفَ وَجْهَ الأَرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِها بِأَهْدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ

تثنيه

بأمعر تثنيه

٤٣ ـ وَأَعْدِلُ مَنْحُوضاً كَأَنَّ فُصُوصَهُ كِعَابٌ دَحَاهَا لاَعِبٌ فَهْيَ مُثَّلُ

وأزعر محدول

٤٤ ـ فَإِنْ تَبْتَئِسْ بِالشَّنْفَرَى أُمُّ قَسْطَلٍ لَمَا اغْتَبَطَتْ بِالشَّنْفَرَى قَبْلُ أَطْوَلُ

فما

---

(٣٩) وغاها: أصواتها. حجرتيه: ناحيتيه. والضمير يعود على عقره في البيت السابق. أضاميم جمع إضمامة وهي القوم ينضم بعضهم إلى بعض. سفر: المسافرون.

(٤٠) توافين: جئن. شتى: متفرقة مأخوذ من التشتت وهو التفرق. أذواد جمع ذود وهو ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل. الأصاريم: جمع صرمة وهي القطعة من الإبل نحو الثلاثين. المنهل: المورد.

(٤١) فعبت: فشربت الماء من غير مص كأنها تصبه في أجوافها صبا. غشاشا: مستعجلة. أحاضة: قبيلة من الأزد. مجفل: مسرع.

(٤٢) أهدأ: ثابت شديد الثبات. يريد بمنكب أهدأ أي ثابت. تنبيه: ترفعه. السناسن: حروف فقار الظهر، وهي مغارز رؤوس الأضلاع. قحل: جافة.

(٤٣) أعدل: أتوسد. منحوضاً: قليل اللحم. فصوصه: فواصله ويعني بذلك فواصل عظامه. دحاها: بسطها. مُثَّل: منتصبة. الأزعر: القليل الشعر. والأزعر اللص الخائف. محدول: مظلوم.

(٤٤) تبتئس: تحزن وتكره. القسطل: الغبار وأم قسطل: الحرب سميت بذلك لأنها تثير الغبار. اغتبطت: تمنت مثل حاله.

٤٥ ـ طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ ‏ ‏ عَقِيرَتُهُ لأَيِّهَا حُمَّ أَوَّلُ

٤٦ ـ تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ يَقْظَى عُيُونُها ‏ ‏ حِثَاثاً إِلَى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلْغَلُ

تبيت ‏ ‏ سراعاً

٤٧ ـ وَإِلْفُ هُمُومٍ مَا تَزَالُ تَعُودُهُ ‏ ‏ عِيَاداً كَحُمَّى الرِّبْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ

وحليف

٤٨ ـ إِذَا وَردتْ أَصْدَرْتُها ثُمَّ إِنَّها ‏ ‏ تَثُوبُ فَتَأْتِي مِنْ تُحَيْتٍ وَمِنْ عَلُ

٤٩ ـ فإمَّا تَرَيْنِي كَابْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِياً ‏ ‏ عَلَى رِقَّةٍ أَحْفَى وَلاَ أَتَنَعَّلُ

رقة ‏ ‏ أتسربل

٥٠ ـ فَإِنِّي لَمَوْلَى الصَّبْرِ أَجْتَابُ بَزَّهُ ‏ ‏ عَلَى مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ وَالْحَزْمَ أَفْعَلُ

أنعل

٥١ ـ وَأُعْدِمُ أَحْيَاناً وَأَغْنَى وَإِنَّمَا ‏ ‏ يَنَالُ الْغِنَى ذُو الْبُعْدَةِ الْمُتَبَذِّلُ

وأملق ‏ ‏ النعتة

---

(٤٥) الطريد: المبعد. تياسرن: مأخوذ من يسر القوم الجزور إذا اجتزروها واقتسموها. عقيرته: نفسه وجثته. حُمَّ: قدِّر.

(٤٦) تتغلغل: تتخلل.

(٤٧) حمى الربع: حمى تأخذ المرء يوماً وتدعه يومين.

(٤٨) وردت: حضرت. أصدرتها: رددْتها. تثوب: ترجع.

(٤٩) ابنة الرمل: الحية. ضاحياً: بارزاً للقر والحر. على رقة: هزال. أتنعل: ألبس النعال.

(٥٠) مولى الصبر: صاحب الصبر ووليه أي القائم به. أجتاب: أقطع ولعله هنا بمعنى ألبس. البز: الثوب. السمع: سبع مركب وهو ولد الذئب من الضبع. الحزم: ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة.

(٥١) أعدم: أفقر والعدم الفقر. أحياناً: جمع حين وهو الوقت والمدة. البعدة: اسم للبعد ولعله يريد ذا الهمة أي بعيد الهمة. المتبذل: الذي لا يبالي.

٥٢ ــ فَلاَ جَزِعٌ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ   وَلاَ مَرِحٌ تَحْتَ الغِنَى أَتَخَيَّلُ

٥٣ ــ وَلاَ تَزْدَهِي الأَجْهَالُ حِلْمِي وَلاَ أَرَى   سَؤُولاً بِأَعْقَابِ الأَقَاوِيلِ أُنْمِلُ

الأطماع   بأذناب

الجهال   بأطراف

٥٤ ــ وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي الْقَوْسَ رَبُّهَا   وَأَقْطُعَهُ اللاَّتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ

٥٥ ــ دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتِي   سُعَارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ

سريت

دغشت

٥٦ ــ فَأَيَّمْتُ نِسْوَانًا وَأَيْتَمْتُ إِلْدَةً   وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلْيَلُ

وأبت

٥٧ ــ وَأَصْبَحَ عني بِالْغُمَيْصَاءِ جَالِسًا   فَرِيقَانِ مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ

٥٨ ــ فَقَالُوا لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلاَبُنَا   فَقُلْنَا أَذِئْبٌ عَسَّ أَمْ عَسَّ فُرْعُلُ

---

(٥٢) الجزع: غير الصبور. الخلة: الحاجة. المتكشف: الذي يظهر فقره وحاجته للناس. المرح: شدة الفرح والنشاط. التخيل: التكبر.

(٥٣) تزدهي: تستخف. الأجهال: جمع جهل. أعقاب: مآخير. أنمل: أنم من النميمة. والنملة: النميمة. ويقال فلان نملة إذا كان نماماً.

(٥٤) النحس في الأصل ضد السعد وهنا بمعنى البرد. أقطعه: جمع قطع وهو السهم القصير العريض النصل. يتنبل: يختار لرميه.

(٥٥) الغطش: الظلمة. البغش: المطر الخفيف. السعار: حر يجده الإنسان في جوفه من شدة الجوع والبرد. أرزيز: من الأرتزاز أي الثبوت يريد أنه يجمد في مكانه من شدة البرد. وأما من الرز وهو صوت أحشائه من الشدة. الوجر: الخوف. الأفكل: الرعدة.

(٥٦) أيمت: جعلتهن أيامى أي بلا أزواج. ألدة: أولاداً. أليل: شديد الظلمة.

(٥٧) الغميصاء: ما يخرج من العين، والغميصاء: من النجوم. الجالس: اسم لنجد يقال جلس إذا أتى الجلس أي نجد. ولعلها بمعنى الجالس من الجلوس.

(٥٨) صوتت صوتاً دون النباح من قلة الصبر على البرد. عسّ: طاف والعس: الطواف بالليل. الفرعل: ولد الضبع.

٥٩ ـ فَلَمْ تَكُ إلاَّ نَبأَةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ فَـقُـلْـنَـا قَـطَـاةٌ رِيْـعَ أَمْ رِيْـعَ أَجْـدَلُ

هوموا حمام هب

٦٠ ـ فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لأَبْرَحُ طَارِقاً وَإِنْ يك أُنْـسـاً مَاكَهَا الأُنْسُ تَفْعَلُ

تك فأبرح

لابرحت

٦١ ـ وَيَوْمٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لَوَابُهُ أَفَـاعِـيـهِ فِـي رَمْـضَـائِـهِ تَـتَـمَـلْـمَـلُ

٦٢ ـ نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلاَ كِنَّ دُونَهُ وَلاَ سِـتْـرَ إلاَّ الأَتْـحَـمِـي الْـمُـرَعْـبَـلُ

٦٣ ـ وَضَافٍ إذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَيَّرَتْ لَـبَـائِـدَ عَـنْ أَعْـطَـافِـهِ مَـا تَـرَجَّـلُ

٦٤ ـ بَعِيدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ وَالفَلْيِ عَهْدُهُ لَهُ عَبَسٌ عَافٍ مِنَ الْغِسْلِ مُحْوِلُ

٦٥ ـ وَخَرْقٍ كَظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بِـعَـامِـلَـتَـيْـنِ ظَـهْـرُهُ لَـيْـسَ يُـعْـمَـلُ

رحب بطنه

---

(٥٩) النبأة: الصوت. هومت: نامت. ريع: أفزع. الأجدل: الصقر.

(٦٠) لأبرح طارقاً: لأعظم وأكرم طارقاً. البرح: الشدة. ماكها أي ما كهذا أو ما كمثل هذا.

(٦١) الشعرى: كوكب يطلع بعد الجوزاء. لوابه: لعابه. ولعاب الشمس أشعتها التي ترى من شدة الحر كالخيوط تعرض للعين. الرمض: شدة وقع الشمس على الرمل. التململ: التحرك.

(٦٢) نصبت: أقمت. الكن: الستر. الأتحمي: ضرب من البرود. المرعبل: المقطع الرقيق.

(٦٣) ضافٍ: سابغ. لبائد: ما تلبد من الشعر لأنه لا يرجل. ترجل: تسرح. أعطاف جمع العِطف وعطفا الرجل جانباه من جهة رأسه إلى وركيه.

(٦٤) الدهن: الطيب. العبس: ما يعلق بأذناب الإبل وإليات الشاء من الأوساخ فيجف عليها. عافٍ: كثير. الغِسل: ما يغسل به الرأس والجلد أي ما يقوم مقام الصابون. الفلي من فلى رأسه إذا نقّاه من القمل. محول: مرّ عليه الحول والحول: السنة.

(٦٥) الخرق: الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. كظهر الترس: أرض مستوية استواء ظهر الترس. قفر: ليس فيها أحد أي خالية. عاملتين: يريد بهما رجليه. ليس يعمل: غير مملوك.

٦٦ ـ وَأَلْحَقْتُ أُولاَهُ بِأُخْرَاهُ مُوفِياً عَلَى قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَاراً وَأَمْثِلُ

٦٧ ـ تَرُودُ الأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلِي كَأَنَّهَا عَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْمُلاَءُ الْمُذَيَّلُ

السحم

٦٨ ـ وَيَرْكُدْنَ بِالآصَالِ حَوْلِي كَأَنَّنِي مِنَ العصم أَدْفَى يَنْتَحِي الْكَيْحَ أَعْقَلُ

---

(٦٦) ألحقت أولاه بأخراه: قطعته وجزته عدواً. موفياً: مشرفاً. القنة: أعلى الجبل. أقعي: أجلس على ركبتي وباطن فخذي. أي أن يلصق الرجل إليته بالأرض وينصب ساقيه ويتساند إلى ظهره. أمثل: انتصب.

(٦٧) ترود: تذهب وتجيء. الأراوي: جمع الأروية وهي أنثى التيس البري. الصحم: الوعول التي يضرب لونها إلى صفرة. والصحم: الحمر والصحمة التي تضرب إلى السواد. والسحم: السود. الملاء: ضرب من الثياب. المذيل: الطويل.

(٦٨) يركدن: يثبتن، ويمكثن. الآصال: جمع أصيل وهو الوقت من العصر إلى المغرب. العصم: جمع أعصم وهو الذي في ذراعيه بياض. وقيل الذي في إحدى يديه بياض. الأدفى: الذي طال قرنه جداً. ينتحي: يعتمد ويقصد. الكيح: عرض الجبل. الأعقل: الممتنع.

ـ ١٤ ـ

نحن الصعاليك(*)

أغار الشنفرى مع تأبط شراً ومجموعة من الصعاليك على العوص فقتلوا منهم ثلاثة وأطردوا لهم إبلاً وأخذوا منهم امرأتين ومضوا بما غنموا، فعرضت لهم خثعم في نحو من أربعين رجلاً فتنادوا للقتال وقال الشنفرى:

[الرجز]

١ ـ نَحْنُ الصَّعَالِيكُ الحُمَاةُ البُزَّلُ   إذَا لَقِينَا لاَ نُرَى نُهَلِّلُ

(*) انظر الأغاني (طبعة الهيئة المصرية العامة). ٢١: ١٦١.

(١) البزل: جمع البازل وهو الرجل المجرَّب. نهلل: نجبن ونفر.

ـ ١٥ ـ

لا تبعدي(*)

كمن أُسَيْدُ بن جابر السلاماني وخازم الفهمي وابن أخي أسيد للشنفرى، فمر عليهم فأبصر السواد بالليل فرماه، وكان لا يرى سواداً إلا رماه كائناً ما كان، فشك ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده، فلم يتكلم. فقال الشنفرى: إن كنت شيئاً فقد أصبتك، وإن لم تكن شيئاً فقد أمنتك. ثم هجما عليه. فصرع الشنفرى خازماً وابن أخي أسيد وأُسِر ثم اقتيد إلى أهلهم. وقيل له: أنشدنا. فقال: إنما النشيد على المسرة فذهبت مثلاً. ثم ضربوا يده فاضطربت. فقال الشنفرى في ذلك:

[الرجز]

١ ـ لاَ تَبْعَدِي إمَّا ذَهَبْتِ شَامَهْ فَرُبَّ وَادٍ نَفَرَتْ حَمَامَهْ

خرق قطعت قتامَهْ(أ)

٢ ـ وَرُبَّ قِرْنٍ فَصَلَتْ عِظَامَهْ وَرُبَّ حَيٍّ فَرَّقَتْ سَوَامَهْ

(*) الأغاني. طبعة الهيئة المصرية العامة ٢١: ١٨١ ـ ١٨٢ و ١٩٤.

(١) شامة: يريد شامة سوداء كانت في يده. نفرت حمامه: كناية عن الصيد.

(أ) الأغاني ٢٠: ١٨٥ والخرق: الأرض الواسعة التي يشتد فيها هبوب الريح. والقتام: الغبار الأسود والظلام.

(٢) القرن: من يقاومك، ونظيرك في الشجاعة. السوام: الماشية التي ترسل لترعى.

ـ ١٦ ـ

ألا ليت شعري(*)

أسرت بنو شبابة بن فهم الشنفرى فعاش عندهم إلى أن أسر بنو سلامان بن مفرج رجلاً من فهم ففداه بنو شبابة بالشنفرى، فكان الشنفرى في بني سلامان بن مفرج لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره إذا قال لها: اغسلي رأسي يا أخيّة وهو لا يشك في أنها أخته، فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته، فذهب مغاضباً قائلاً لها:

[الطويل]

١ ـ أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي والتَّلَهُّفُ ضَلَّةٌ ... بِمَا ضَرَبَتْ كَفُّ الفَتَاةِ هَجِينَهَا

٢ ـ وَلَوْ عَلِمَتْ قُعْسُوسُ أَنْسَابَ وَالِدِي ... وَوَالِدِهَا ظَلَّتْ تَقَاصَرُ دُونَهَا

٣ ـ أَنَا ابْنُ خِيارِ الحُجْرِ بَيْتاً وَمَنْصِباً ... وَأُمِّي ابْنَةُ الأَحْرَارِ لَوْ تَعْرِفِينَهَا

(*) انظر الأغاني طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢١: ١٧٩ ـ ١٨٠.

(١) التلهف ضلة أي التلهف على شيء ضلال. الهجين: اللئيم أو العربي الذي أمه أمة.

(٢) مقسوس اسم الفتاة. ظلت تقاصر دونها أي تقاصر عنقها أمامي.

(٣) الحجر قبيلة بعينها. يقصد قبيلته الأواس بن الحجر.

ـ ١٧ ـ

ولو علمت تلك الفتاة(*)

سبت بنو سلامان بن مفرج الشنفرى وهو غلام، فجعله الذي سباه في بهمة يرعاها مع ابنة له، فلما خلا بها الشنفرى أهوى ليقبلها، فصكت وجهه، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته، فخرج إليه ليقتله فوجده وهو يقول:

[الطويل]

١ ـ أَلاَ هَلْ أَتَى فِتْيَانَ قَوْمِي جَمَاعَةً ... بِمَا لَطَمَتْ كَفُّ الفَتَاةِ هَجِينَهَا

٢ ـ وَلَوْ عَلِمتْ تِلْكَ الفَتَاةُ مَنَاسِبي ... وَنِسْبَتُهَا ظَلَّتْ تَقَاصَرُ دُونَهَا

٣ ـ أَلَيْسَ أَبِي خَيْرَ الأَوْاسِ وَغَيْرِهَا ... وَأُمِّي ابْنَةُ الخَيْرِينَ لَوْ تَعْلَمِينَهَا

٤ ـ إِذَا مَا أَرُومُ الوِدَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... يَؤُمُّ بَيَاضُ الوَجْهِ مِنِّي يَمِينَهَا

(*) انظر الأغاني. طبعة الهيئة العامة ٢١: ١٩٢ ـ ١٩٣ وهذه الأبيات رواية للأبيات السابقة. رواية مزيدة، وقد صدرت بمقدمة مختلفة.

(١) الهجين: العربي الذي أمه أمة.

(٢) ظلت تقاصر دونها أي تقاصر عنقها أمامي.

(٣) الأواس قوم الشنفرى. الخيرين: جمع الخير بعد تخفيف الياء.

(٤) يمينها: يقصد يدها. يريد أنه حين يريد تقبيلها لا يضع وجهه إلا على يدها التي تتلقى بها القبلة ثم تصفعه بها.

ـ ١٨ ـ

جبال قوّ(*)

[الوافر]

١ ـ إِذَا أَصْبَحْتُ بَيْنَ جِبَالِ قَوٍّ ... وَبِيضَانِ الْقُرَى لَمْ تَحْذَرِينِي

٢ ـ فَإِمَّا أَنْ تَوَدِّينَا فَنَرْعَى ... أَمَانَتَكُمْ وَإِمَّا أَنْ تَخُونِي

٣ ـ سَأُخْلِي لِلظَّعِينَةِ مَا أَرَادَتْ ... وَلَسْتُ بِحَارِسٍ لَكِ كُلَّ حِينِ

٤ ـ إِذَا مَا جِئْتِ مَا أَنْهَاكِ عَنْهُ ... وَلَمْ أُنْكِرْ عَلَيْكِ فَطَلِّقِينِي

٥ ـ فَأَنْتِ الْبَعْلُ يَوْمَئِذٍ فَقُومِي ... بِسَوْطِكِ لاَ أَبَا لَكِ فَاضْرِبِينِي

(*) انظر كتاب الوحشيات لأبي تمام ص٣٨.

(١) قو: موضع بعينه بين فيد والنباج. وبيضان القرى: لعله موضع بعينه وبيضة الشيء وسطه. وبيضة القوم حماهم.

(٢) تودينا: تحبينا. نرعى أمانتكم: نحفظها.

(٣) الظعينة: المرأة في الهودج. والظعينة امرأة الرجل أيضاً. الحين: الوقت.

(٤) جئت: أتيت.

(٥) لا أبالك: تعبير يقال في موضع التعجب أو الحث أو الزجر.